أحمد عبد الحسين

عقائد موجعة

شعر

2003-1983

مكتبة الفكر الجديد

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى
المدير العام
ورئيس مجلس الادارة
السيد نوفل هلال ابو رغيف
العنوان:
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص. ب. ٤٠٢٣ـ فاكس٤٤٤٨٧٦٠ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar - iraqculture@yahoo.com

مكتبة الفكر الجديد

عقائد موجعة

أحمد عبد الحسين

شعر

١٩٨٣ـ ٢٠٠٣

الطبعة الاولى- بغداد- ٢٠٠٩

٣

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

أرباب جمشيد

١

الحقيقةُ أنهم أنزلوه إلى حفرته وهو يتمتمُ: ما طبكم .. ما دواؤكم؟
الحقيقةُ أن أخته تركتْ ربيعها وراء ماكنةِ الخياطةِ
وتبعثرتْ أمامَ المرآة تشدُّ حجابها
الحقيقةُ أن أخاه يثمرُ لصقَ الحائطِ ويكشفُ في الظلَ عن معتقداته،
الحقيقةُ أن أمه تتعثر دائماً بأباريقها،
غير أنَ الحقيقةَ لا يمكن سردها ولا توصيفها
الحقيقةُ هي الموقفُ الذي يخترق نظامَ السرد.

مكتبة الفكر الجديد

٢

ولتسردْ ما شئتَ
فللموتِ أربابُه
ولجمشيد أربابه أيضاً
وها آباؤكَ منذ الفجرِ يجرجرون أمعاءهم على الثلجِ البائد
مهتوكين بظلمة اليقين،
بالخطوات التي تؤرخُ قيامةَ الضلعِ المحنيّ على جنينٍ مُمــتَحَنٍ
بملائكة العطب،
بينما الجسدُ آية محرّفة،
بينما الأمّ ممرّ للطيور الكسيرة
والأب ممحوٌّ بحضوره،
محفوفٌ بهتافات الغد الأحدب
مظلمٌ وليس يضيئه إلا الرعد
الرعدُ
الهزيل

مكتبة الفكر الجديد

الهائم
الذي يهتز تابوته في كتابي،
فبمن أكترثُ بعد ذلك؟
برنين قبورك التي ترفرف يائسةً وتضحك منها ملائكةُ الدموع؟
بجنّةِ الرمل؟
بإسطبل الصلاة؟
أم بجمشيد،
يتلفُ آباءه وينشرهم قميصاً قميصاً،
وها، عارياً مع كل صلاة،
عارياً بعد كلّ صلاةٍ،
توجزه الريحُ
ويرويه الأبُ المائلُ على السياج المائلِ في انقضاضه الوشيك.

مكتبة الفكر الجديد

٣

وشيكاً سيهتفون: ما طبَكم .. ما دواؤكم؟
وشيكاً سينقضّون كلاً بحكمته المرمريةِ آخذين الفجرَ
أخذَ آباءٍ يمتحنون أبديةَ الثلج البائد بجنينٍ مدمّى
وضلعٍ مكسور

وسينزلون الحلبةَ مع هتافٍ وحيد
لشمسٍ وحيدة تعيدُ عليهم الغدَ ذاتَه
حيواناتهِ وتماثيلَه،
وسيرتجفون لديمومةِ الريح

سينحنون لأبوّاتٍ سوداء تتراشق نوافذُها بأبناءٍ طالعين توّاً من الكتفِ العاري،
وسينهزمونَ
الهواءُ سيهزمهم

مكتبة الفكر الجديد

الراياتُ المنكّسة بحنوٍ في المنعطف الحاني ستهزمهم
جمشيد، يثمر لصقَ الحائط ويكشف في الظل عن معتقداتهِ، عن
أوبئتهِ
سيهزمهم
يتلفهم ثم يعيدهم.

مكتبة الفكر الجديد

٤

أتلفهم ثم أعادهم رسلاً عاطلين، غرقـــى منتفخـــين تشمّـــسهم العيونُ الحزينة

لكنهم مع ذلك سيأتون كلاً بخفقانهِ وأسلحته:

سائقُ الرعد إلى الشرفات الواطئةِ فلا تتفقّس الأجسادُ إلا بأذنه سيأتي

رومانُ فتّانُ القبورِ سيأتي

وسيأتي الغرقى الهاطلون مع المطر

والحدادون الذين يزنون الظلَّ بميزانِ اليقظةِ

والهائمون في الحدائق الضائعةِ مع أطفالٍ ضائعين

وسيأتي أيضاً ملائكةٌ مرضى

يقرعون أجراسَ رائحةِ الشفاءِ في رأسِ جمشيد

مكتبة الفكر الجديد

٥

رأسُه الذي شمّسته العيونُ الحزينةُ .... من أين؟

يداه اللتانِ تقرآنِ الينابيعَ..... إلى أين؟

قلبه .....متى؟

مكتبة الفكر الجديد

٦

متى تتقدّمُ هذه الصحراءُ لتنكشفَ لي إشارةُ حيوانها انكــشافاً
تسقط به قواها

حتى لا يبقى ذو روحٍ إلا ونارُ غيابي قد أحرقتْ ظهورَه

متى شيخُ القراءةِ ينجزني معافىً من الأمل

بريئاً كفمٍ يريد أن يقولَ: ماذا ستعطيني؟

مكتبة الفكر الجديد

٧

_ مئذنةً أم فراشةً محترقة؟

هكذا أبدَدُ بنات الفجرِ الطالعاتِ من شفق الرغبـــة مقـــروءاتٍ
بألسنةٍ سامةٍ
كأنهن مصائدُ يخبّئها الزائلُ للزائلِ
_ ماذا ستعطيني؟

إن لم يكنْ إلا مساؤكَ يغلي ومآذنك تستنطقُ النائمين
فلتكنْ ردماً في سياجٍ سينقضُّ أو جرساً في عنق ثورٍ مذبوح

_ ماذا ستعطيني؟
مئذنةً تجرجرها فراشةٌ محترقة.

مكتبة الفكر الجديد

٨

أحرقتُ مآذنكَ وحطبتُ قبابك
وتدليتُ إليك مجلوّاً بالكلامِ
مهتوفاً بي من مكانٍ بعيدِ
كأنني قبرٌ يرفرفُ يائساً وتضحك منه ملائكةُ الدموعِ
أنتَ مكتوبٌ بسطوات المعدنِ ويقرؤكَ من يشاء
وأنا الحارسُ على شعبِ سكران
هتكتْني إليك ثيابي
هتكني إليك المغيبُ
هتكتني يمامةُ الخجلِ الأحدبِ فتكوّمتُ أمامكَ
أسيرُ بك منقطعاً إليّ
أقولُ: متى تتهدّم وتتكوّمُ على ركبتيك أجراسُ النهار؟
تقول: متى أشبع من تلاشيك لأقرأك؟
مكتوبٌ بسطوات المعدن
ويقرأ من يشاء.

مكتبة الفكر الجديد

وهذه مشيئتي:

أحيّيك بما لا أطيقه

بالأقاصي التي ينسجها الكلامُ

أؤمنُ بك وأنتظر قيامتَك أيها الجسدُ

يا آيةً محرّقة

مكتبة الفكر الجديد

١٠

- أتؤمنُ به؟

- الشياطينُ تؤمنُ به

وتقشعرّ له

مكتبة الفكر الجديد

١١

لذلك أؤمنُ وأقشعرّ

لذلك أبكي

الواقفُ في فراغ النافذة

تومئ له النهاراتُ بمناديلها الألف،

العابرُ تحنو عليه الغيومُ

ويشتملُ عليه شمعدانُ الدموع،

للرعدِ الهزيلِ الهائمِ الذي يضيءُ حاجبيهِ

مكتبة الفكر الجديد

لملائكةِ اليأس المرفرفة على أكتافه، أبكي

لأجله أبكي.

إيران ١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

أستدلُ على الزائل

أستدلّ على الزائلِ بالنقوشِ التي تنهش مع الفجر ابناءً
طالعين تواً من الكتف العاري
حيث الأمُ وإبريقها بيتٌ مكسورٌ تحت الشجرة
حيث الشجرةُ في مكان السلاح
تندفع وقدّامها ثمراتُ الليل الباردةُ
مع شموع الموؤدات وكلّهن شراشفُ خضرٌ
وكلهن سماءٌ زائلة
ونازحاتٌ منذ الصيف
منذ ليلةِ السبيِ والتفاتة المحارب الى شمعدانِ مسروق
أبشّركَ بالعطب
بالفوهات الحزينة التي تحرسُ منامَكَ
أبشّرك بدينونةِ الشمالِ
الاقيك على السلّمِ فيكسرني وجدانُك
أأمسكه على هونٍ أم أدسه في التراب؟

مكتبة الفكر الجديد

وماذا بعد قرآنكَ الا الهديلُ بما لا يشفي
كأنما حدادٌ
وهذه مكائده
وقد جُرَّ عنوةً ليبايع
بعدها أقرأ من (أستدل على الزائل بالنقوش)
الى (بيتنا مكسور)
ولا أرى بعد ذلك أنني هُيئتُ
وانقضى ذلك الذي أنجزني وتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به،
أبشرك باللاهوت
حيث تمتزج الأمُّ وأبريقها
حيث ناقوس في موضع الطفلِ
عميقاً
يحيّي هذه الشجرةَ الطالعةَ
في البيت المكسور.

بغداد ١٩٨٦

مكتبة الفكر الجديد

قلْ له

قلْ له : نُبحتَ مراراً
إلا في هذه المرةِ
فإنكَ خارجٌ لتُذْبَحَ على وجهاتٍ كثيرةٍ
ولاتقلْ له: نُبحتَ على وجهةٍ واحدةٍ
لئلا يتَوجَّــه.

مكتبة الفكر الجديد

أما المرأة ...

أما المرأةُ فلا تتغير
تانهةٌ في منقلبها الكلاميّ
في الشفق الذي يمرُّ سريعاً

محجبةٌ أبداً وممتلئةٌ بالعيون
بما يجعلها قنطرةً

قبلها جثةٌ تطفو
وبعدها نداءٌ طويل.

كان هذا غيابَها وانشغالَ نهديها
بتماثيل اليأس الصغيرة البيضاء،

مكتبة الفكر الجديد

أما وجهُها فغائبٌ ولا استطيع تصوّره إلا باصابعي
وها أنذا

بأصابعي أرسمُ آثارَ الشفق الذي
مرَّ سريعاً من هنا
وتهدّمَ.

مكتبة الفكر الجديد

الأب يتكلم

١

يطرح الأبُ وصيته ويطالبنا نحن الأبناءَ بأنْ ننظر اليها كشيء مقدسٍ

لكنْ ماذا لو كان الأبُ يتكلم باللسان القديم، باللسانِ المحتضر

ألا يكون الإستماعُ الى الوصية حينئذٍ ضرباً من العبث؟

بغداد ١٩٨٦

مكتبة الفكر الجديد

٢

نعم
وأبي واقفٌ
وكلام ثيابي مقروءٌ
فما في يمينك ياصيفُ من جنةٍ واصطبلاتٍ لتنعشنا ساعا
العطبِ
ساعةَ تحت الماء البارد وجةّ قديم يرفلُ بالبيوت القديمة
كأنما قرع عكاكيزه أغنية تقول:
ردّوها عليَ
فما أنا بالهين ولا بالإبرة التي تحرس الزوايا
بل راداً تضاريسك الى فصلها الماديَ
الى المصباح في أعلى النخلة
أتكلم ويسعدني كلامي
أتكلم ويسعدني المغيبُ
أتكلم وتسعدني يدي وخاصرتي
وكلّ شيء
كلّ شيء.

مكتبة الفكر الجديد

٣

كل شيء قوة و(صيّورُ الفناء)
فلماذا حين دخلتَ الحديقةَ دخلتَ بحيوانات الماضي وتماثيله:
الأمَ في دفترها ملوحةً بالرايات
بينما عشرُ مداخنَ هبطتْ لتسمعَ الأبَ
منكّساً في باحة الدار كأنه ينبوعٌ أصمّ
كأنه قبرٌ يستر حنينه باللهاث؛
أبي محراثٌ له قوةُ العضل المفكر ينبش دينونتنا
الدينونةَ التي ورثتُها عنوةً عن أمي؛
أمي، أكلمكِ وأنا مائلٌ الى الحائط
وليس لي أصلٌ أحيطكِ فيه بقوّة العدم
فالمكان غائبٌ
وأنا أزول بطيئاً بطيئاً
لاسيما غروبي
لاسيما يدي وخاصرتي.

مكتبة الفكر الجديد

٤

يدي فوق خاصرتي
بينما المرأة وحارسها جيشٌ بألوية
ثلج وحيواناتٌ تتكوّم في المنعطف،
بينما ربيعُ الأشياء الصغيرة
ــ ربيعك أو ربيعي ــ
فالرأسُ الذي يرفع من الزنزانة أبلغ منه
وأبلغُ منه الحشودُ التي تقطع الجادّةَ بكاءً على ثور مذبوح.
المرأة وشاهدها
أختُ مَنْ حتى نزركشها فتجرحنا
كما لو قبرٌ كلّمها فلا تصغي ولا أسترسل
جئتُ لأعرفَ كم أنا في ركامِ الثلج
وكم رأسُكِ حين تُرفعُ الرؤوس.

مكتبة الفكر الجديد

٥

للتوّ رفعتُ رأسي
للتو خرجتُ من الحديقة وتذكرتكَ في أغنيةٍ تقول:
أصابني السلُّ وانفرط خاتمي
للتوّ كان منحنياً في باحة الدار كأنه ينبوعٌ أصمّ
قنديلٌ أعمى تحركه فراشةٌ زائلة
محراثٌ له قوّةُ العضل المفكّرِ ينبش دينونتَنا
الدينونةَ التي ورثتُها عن أمي
وخبأتُها عن أبي.

مكتبة الفكر الجديد

٦

أبي طائرٌ كبيرٌ ينزف

رائحةٌ تتكلم قرب السرير ولا تصل

مكتبة الفكر الجديد

٧

يطرح الأب وصيتَه

انه يقول لنا: أنتم أبنائي وعليكم أن تتشبهوا بي

يستطيع الأب أن يرى قوّته في إملاء وصاياه على الأبناء

لكنه لا يستطيع أن يمنع ضعفَه الشخصيَّ

ضعفه المتمثلَ في انّ له أبناءً لا يشبهونه.

بغداد ١٩٨٨

مكتبة الفكر الجديد

شخص المناخ

شخصُ المناخِ ناقوسٌ ممطرٌ
ولا شيءَ يمسكُه، ولا شيءَ يهديه
فهو القتيلُ
وقد سقطتْ في حواشيه البيوتُ
ولي بعد ذلك أن أقوده الى فخّ الحديقة ليتسمعَ
كيف شمسُه بين الحين والحين غبارٌ
وأختٌ تنفض الغبارَ.
ولي بعدها بيارقُ منكَسةٌ في المنعطف
وأمٌ مؤودةٌ في مرايا الدموعِ
طائشةٌ
وأباريقها حلوةٌ وطائشة.

١٩٨٧

مكتبة الفكر الجديد

غيومنا العميقة

ـ الكونُ.....

ـ مابه؟

قالوا: حبلك يتدلى

ومعدتك تطحنُ نفسَها

بينما المجاري طافحةٌ بالعلبِ الفارغة

بينما مطرُك الشخصيُّ يتبدّدُ

بينما الكونُ....

ـ ما باله؟

قالوا آخرَ الأمر تفتح البابَ

وما ان تطأ العتبةَ حتى تجهش:

ردائي يبلّلني

فالى متى أتقوّس ملامساً هذه العضلةَ

قارعاً بمخالبي ذلك الأخدودَ الرطبَ

مكتبة الفكر الجديد

دافعاً برأسي الى هندسةٍ ليستْ لي؟
وقالوا: الدينونةُ التي نبشناها سوياً
سقطنا فيها أخيراً
ثم أضافوا: للمجاري وحدها كنا نربي غيومنا العميقةَ
قالوا وقالوا
وكنا نتهامسُ عن الكونِ
عن حبلٍ يتدلى
ومعدةٍ تطحن نفسها.

زاخو ٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

لوكيميا

بهذا كله:

بالكون

الكون الذي رئلنا زخارفه في كتب المدرسة،

باليقين

اليقين الأسود الطريّ لأبنائنا المستوحشين،

بالربيع

الربيع النازل كفجيعةٍ مدروسة على العشبِ الباند

بهذا كله لاتقنعْ = لاتقنعْ بهذا كله

ولا تبطشْ بطشتك كلها

ولكنْ باليقين

بزهرة اللهب

باللوكيميا اكتبْ مديحك الأموميّ ياموتُ

بالأبديات الكسولة التي حفرناها سوياً

بذلك كله وبغيره لا تقنعْ لا تقنعْ بذلك كله ولا بغيره

مكتبة الفكر الجديد

ولا تقنع بالكون

الكون الذي كتبنا لهاثه في ورق المدرسة

كتبنا عطسته وبروجَه

واختلفنا على تأويل عظامه

بهذا كله وبغيره

وبأشياء وأشياء

حينما قبضةُ الشمس ألقتْ علينا نثارها الذي

من لهاثٍ وزمهرير

نعسنا

نعسَ اليقينُ في قبضاتنا اليتيمةِ

نعس الكونُ

الكونُ

الصغيرُ

الهالكُ

الذي يقنعُ بالقليل.

زاخو ١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

عنقاء المغرَب

طفلٌ لاعبٌ باللاهوت يجادلُ عن تأريخه في شقٍّ جدار

وجهٌ يطلّ من النافذة باكياً:

تنفستُ هواءَ الفجر قبل أن تلوّثه أنفاسُ العامّة

تنفستُ هواء الفجر بعد أن لوّثته أنفاسُ العامّة

قرأتُ كتابَ أصول الفقه

ومحوتُ اسمي من بين الأسماء

لقد نجوتُ.

جيوشٌ عتيقة تريد أن تتنفس على حسابي

أسرى يريدون أن يدخلوا الجنّة بعينين مغمضتين

لكنّي عندما أكملُ كتابي

مكتبة الفكر الجديد

سيكونُ كلُّ شيء كما لو لمعانُ قريةٍ منكوبةٍ على حافة الفجر،

عندما أكملُ كتابي

ذهبٌ حزينٌ، دمٌ أشقرُ يتصبّبُ على العتبة،

سرجنارُ وألفُ عامٍ من الصبيةِ يتهامسون في ينبوع مختوم،

وسأولدُ

من لا أب يستعير ألسنة الظلمات ويوردُها في غير موردها،

ومن لا أمّ مثل عنقاءِ المُغْرَبِ تجرجرُ تماثيلها إلى المطبخ،

سأولدُ لأرى الجنّة في ثنايا جنّةٍ ملفوفة بالخِرَق ومقذوفة من النافذة،

سأولدُ لأشمَّ رائحة عبيدٍ مصقدينَ يخوضون في أهوارٍ جافة،

من أجل هندسةٍ عمياء تقول الحقَّ معي، سأولدُ

من أجل قفلٍ في باب عدوّي يقول: اغفرْ لي أنا الخاطئ، سأولد

فمن هذه الأنقاض،

مكتبة الفكر الجديد

من بابلَ وأسباطٍ يتفسّخون في الكتب،

من رعشة صبيٍّ تانهٍ بين البرديّ،

من صخرةٍ مسبيّة تدفنُ كلكامشَ في أحشائها لئلا يستدلَّ عليه احدٌ،

من ذلك كله يولد أحمدُ نظيفاً ومقموعاً

وكلُّ شيء يلقنه الذهبَ والماءَ الباردَ ويقول له: لا تكبرْ

كلُّ شيءٍ طبلٌ يائسٌ في أذنيهِ

وسجادةٌ تثرثر أمام عينينِ ذابلتين،

أما الأبُ

الضاحكُ في مقبرة النجف ورأسُه يدارُ به في بغدادَ،

الصاعدُ إلى قرآنهِ ساحباً مجراتِه الخمسَ

مكتبة الفكر الجديد

فهو الضريحُ وقد تماثلَ أخيراً للشفاء،

ولكلٍّ ولادتُه هذه الليلةَ:

قبضةُ اللهبِ اصطلتْ بها كوثرُ وحسدها عليها الكروبيونَ،

كتابُ أصولِ الفقهِ تواريتُ به من سوء ما بُشرتُ به،

أمي تلتفتُ بشمعدانها لتضيءَ الموتى،

وأنا أجادلُ عن تأريخي في شقِّ جدارِ

وأبديتي ليومٍ واحدٍ فقطْ،

مكتبة الفكر الجديد

ليومٍ واحد فقط أردتُ أن أولدَ
وان أكونَ أخاً لي يخصني بالنومِ وقعقعة السلاحِ،

اردتُ أن أولد لأكون ملاكاً يصفّق لي إلى أبدِ الآبدينَ،

غير اني عندما أكملتُ كتابي

خرجتُ من الأكاديميةِ وعلى كتفيَّ كنيستانِ تتقاتلانِ

وفي ثوبي رائحةُ جنديٍّ هاربٍ من الخدمة العسكرية،
وشيئاً فشيئاً سُقيتُ من نبعك النائمِ،

أيها الجسدُ الذي لا ينام ولا يستأنس بخرائب أبنائه،

يا من تتعثّرُ بأنواط شجاعتك
لا تلتفتْ

مكتبة الفكر الجديد

فلعلّك متَّ

لعلّ الرعبَ الذي يرقّقُ قلبَكَ إمامّ غاقبٌ يتلّوى في مستشفىً مريضٍ،

لعلّ شمساً مؤبدةً تصلّي لشعبك السكران،

لشيعةٍ وأكرادٍ تتناثر أجراسُهم في الفراغِ،

فيا اللهُ

نحن لم ننتظرْكَ عبثاً

كان عندنا الكثيرُ من العدم وأردنا استثماره
يا الله

يا من تقاسم اليتامى ثيابَه وخواتمَه

مكتبة الفكر الجديد

كم كنتُ أريد أن أكون طفلَك الذي يستأنسُ بخرائبك،

لنديلك الذي من رآه لم ينمْ،

يا الله

يا من يقالُ على عَجَلٍ

أردتُك بيتاً تشمّسه العيونُ وترقرقه الكركراتُ

أردتُك إصبعاً تشير إليّ

إلى أن تطربني الأباطيلُ وأدفَنَ مع أسمائي

فلا يطّلعَ عليّ أحدٌ،
يا اللهُ

مكتبة الفكر الجديد

حتى متى _ أنا وإياك _ نجادلُ عن تأريخنا

في شقِّ جدار.

دمشق ١٩٩٥

مكتبة الفكر الجديد

الأب يتكلم ثانية

١

يترك الأبُ العاكفُ على أقنعة اليقين خواتمَه العمياءَ في خنصره النائمِ
حيثُ الشمسُ ذاتها في المنحنى ذاتهِ تتنفّس أبناءه من كل اتجاهٍ؛ فمنْ سيقبضُه ويبسطه كمنفىً هزيلٍ تقلّبه الأكفُ الهزيلةُ لمنفيينَ يسردون ــ بالحروفِ التي تتهجّى العدمَ ــ قيامةَ الإبِ الهائمِ المسكوبِ على العتبةِ ، بينما قرآنُه هناك
قرآنه الطيّعُ يغلي
وبأنقاضهِ يخلط الفجرَ بنقوشهِ
والملائكةَ بأنينها العذبِ ،

فلا تحرمْني وجهَكَ ورنينك ياموتُ بلْ بيأسِك فاكنفْني

مكتبة الفكر الجديد

وبأكاذيبكَ ارفعني قميصاً قميصاً

لأرى في الأعالي حرائقكَ البسيطةَ تهسهسُ القبابَ والأعمدةَ

وأسمع مصبّاتِ الدموعِ الكبيرةَ تهدرُ
هنالك
حيث يكونُ الألمُ الحلوُ وصريرُ الأسنان
هنالك
حيث الضلعُ المرضوضُ منحنٍ على جنينه المدمّى،
والغيابُ الحاضرُ بآلاتهِ وزخرفه أكثر التماعاً من اصبعٍ تنادي:

ابعدوا عني هذه الأبوّاتِ
أخرجوا هذه الأقنعة.

مكتبة الفكر الجديد

٢

القناعُ الذي يحرّره الرملُ وجهُك الذي به أؤمنُ وله أقشعرّ
واللهاثُ بيننا جنّةٌ في ثنايا جنّةٍ
وهو بريدي اليك وميثاقي لديكَ

إذْ أنت جسدي
آيتي المحرّقةُ،

فهل يؤمنون بك أكثرَ مني ويقشعرّون لك؟
وهل يقرأونك بلساني
باللهب الذي أنجزني خاتماً في خنصرك المبتور؟

مكتبة الفكر الجديد

٣

وهل عليّ بعد ذلك أن أزِنَ شحوبَ أعماقي برائحـــة الـــسما
لأصعدَ اليكَ

لأكونَ جديراً بك
جديراً باليد القابضةِ على شمعدانٍ يضيء العائلةَ؟
وكَيَدٍ قويّةٍ ترفرفُ على كتفينِ مريضتين

أتقدم قافزاً من يقينٍ لا أعرفه إلى يقينٍ لا يعرفني
ناثراً في الحقول التي حرثتْها عيونُ المنهزمين خواتمَك العميا
لأقولَ أبصروك ولم تثمرْ
أمْ عليّ كأبٍ تجلده أبوّتُه أمامَ أبنائه
أن أقودك الى الشرفاتِ الواطئةِ لنشكرَ معاً نعمةَ الصيفِ:

رأسَك الذي يُدارُ به في الأفق
وتماثيلَك التي تتعرّقُ تحتَ الأبط.

مكتبة الفكر الجديد

وحدها الريحُ تدخلُ وتخرجُ يائسةً
وحدهم أبناؤك فخاخٌ يخبئُها الزائلُ للزائلِ.

طهران ١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

هيوا

دائماً يولدُ وفي فمه ينبوعٌ

وحين يبتسمُ تغمضُ المرأةُ عينيها ويطأطئُ الرجلُ رأسَه

ويسقطُ شمعدانٌ خجول

أما عندما يحضرُ أعداؤه فانه يصكُ أسنانَه

يصكَها بقوّةٍ الى أن يتفرقوا

واذا كنتَ تراني أحياناً أحمله على راحتيَّ

وأقدمُه هديةً لهم

مكتبة الفكر الجديد

فذلك لأني أريدهم أن يروا

كيف يكونُ الألمُ الحلوُ

وصريرُ الأسنان.

السليمانية ٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

الصليب

كلُ الكلام فيه
أقولُ:غداً أو بعد غد، وأعني نزوله وصعوده

ولا أعني السلالمَ العاليةَ تتشابكُ لتسقطه
ذلك ان الصعودَ والهبوطَ فخٌ من فخاخ لطفه الأكيدِ

بل هما مشيئته مندكّةً في مشيئة السلالم ذاتها.
واذا كان كلُ الكلام فيه

فاني اذا قلتُ مثلاً:
كاتدرائيةُ الأرمن الأرثوذكس مغلقةٌ

فانا أريدُ:
قميصُه يرفرفُ يائساً وسعالُه جافٌ

مكتبة الفكر الجديد

أما أحاديثي عن الطقسِ أو انقطاعِ الكهرباء
فهي اشارةٌ خفية مني الى وجهه الصغير الهالك

وجهه الذي أمسكه بيدينِ دامعتينِ وأتلفه بالقبل،
وجهه المغطّى بالضمادات

وجهه الذي يصعدُ عالياً كأنه صمتٌ بين ثرثرتينِ
ثم يهبطُ سريعاً

وينسى
كلَّ الكلامِ الذي قيلَ فيه.

زاخو ١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

الثانية بعد الظهر وأنا سعيد بهذا كله

الان يمكنني أن أتذكرَ
ما دمتُ في المنعطفِ الأخير ،

ومادامتْ الساعةُ تشير الى الثانية بعد الظهر
يمكنني أن أؤكد بأن النساء المائةَ اللواتي

نسين مناديلهنَّ في الحديقة كنّ أنتِ
أنت فقطْ

معكوسةً في المرايا الكبيرةِ للألم.
وكمن يفاجئه الخرابُ وهو يحلمُ

كمن يقوده الموتُ إلى مستشفى مريضٍ
أدوّن التلاشي

مكتبة الفكر الجديد

أدوّن أيامي كلَّها على ورق الأمسِ
وأبقي ما يتبقى لي على الحقول المحروثة بـأبواق العجـلاد
السعيدةِ

وأنا سعيدٌ كذلك
من أجل نهارٍ واقفٍ على كتابةٍ لم تكنْ لأحدٍ

من أجل صبيّةٍ تنادي على بائع الصحف الأصمّ
خرساءَ

كأنها تنادي على فرصةٍ سوداءَ للضحك
سعيدٌ من أجل صبيٍّ يتبرعم في سره

مبتسماً ليمامةِ الإستمناء القرمزية
لأصابعه وهي تكتب في فراغ الأشجار

مكتبة الفكر الجديد

في يقظة الطرقات
إسماً لحبيبته المريضة

إسماً لخراب أيامه
سعيد كذلك للبكاء الطويل الذي ينتهي عادة باستواء الـــشمس
في يوم الحصاد

سعيدٌ في نهار الطيور الكبيرة تعبر منطقةَ الهذيان
مثيرة زبداً ذهبياً

وساكبةً على غريق سكران موجةَ الفزع الأخيرة
وكمنْ يقول ورائي أفعى ثم يلتفتُ

فلا يجدُ سوى حجرٍ يذكّره بطفولته
أقطعُ الخيطَ الذي يفصلني عن الشجرةِ الوحيدة

مكتبة الفكر الجديد

عن تلاميذَ بكّائينَ يستنفرون الهواءَ بحقائبهم
ويشيرون بأصابعهم اللبنيّةِ الى جثّة البائع المتجول

هناك حيث برقٌ طائش يصيب العانسَ بالحمى
والأرملةَ بدوارِ البحر

هناك حيث صرخةٌ تنتظر من يقولها سريعاً ويختفي
في الطريق المؤدّي الى باب بيتكِ

تستوقفني رائحةُ العميان
ملتصقين على رقعة الفراغ الأخضر

الفراغ الذي لم يكنْ في يومٍ من الأيام طريقاً لعميان يتدافعونَ
وأيديهم تكتشفُ في الظلمة ممالكَ وانهياراتِ وصيفاً قابلا
للمحوِ،

مكتبة الفكر الجديد

أيُّ صيفٍ هذا الذي يجعل الأمهاتِ منطفئاتٍ يعدّدنَ أبناءهنّ واحداً

واحداً
أيُّ صيفٍ هذا الذي لا يجيءُ الا ملطخاً بالخريف ؟

وكمنْ يؤسّسُ في فراغ الوردة أسيجةً وينهدمُ
أدوّن على ورق زائفٍ كلاماً عن المناخ الملائم لنموِّ الأسرى

كلاماً يحرّكُ العواصفَ الصغيرةَ فوق سرير العسكريّ الجميلِ
الذي يغطُّ في حَسَدٍ عميق

وحقائقُه العشرونَ تحفرُ في خاطره منحدراتٍ وأوديةً
أدوّن ما ينبغي لسقوطي من السلّم الكهربائيّ

ما ينبغي لاستدراجي الى غرفةِ الدرسِ
سعيداً الا من إصبعي الصغيرة

مكتبة الفكر الجديد

مشرعةً باتجاه التعاسة
مشرعةً باتجاه الأبدية

وليكنْ ما يكونُ
فأنا مسافرٌ إلى ما لم يكنْ

الى كهف يتكلّم باسمي
باسم سائقي العجلات الذين يتبادلون الأمواجَ الصغيرةَ

مسرعينَ الى زوجاتهم النحيلاتِ
اللواتي نبتتْ على أثدائهنّ من فرط الألمِ حلماتٌ كثيرة

وفي النهايةِ
في آخر الشوطِ

يسقطُ الجميعُ هنا وهناك
غرقى

مكتبة الفكر الجديد

وفي أفواههم رغبةٌ بالكلام
ليكنْ ما يكونُ

فأنا الآن في المنعطف الأخير
والساعةُ مازالت تشيرُ الى الثانية بعد الظهر

مسافرٌ إلى ما لم يكنْ
مثل ديكٍ يفترضُ الفجرَ ويصيحُ،

مسافرٌ اليّ
تستوقفني إشارةٌ حمراءُ

صبيٌّ أعمى يحملُ عني الصيفَ ويختفي
في الطريق المؤدّي الى بابِ بيتكِ

بغداد ١٩٨٤

مكتبة الفكر الجديد

أكاديمية الفنونِ الجميلة

الى ستار كاووش

الخسارةُ فادحةٌ
الصبيُّ الذي بعثروه أمامي

أكلتْه التماثيلُ الحزينةُ
شرّده الدخانُ الأبيضُ المتصاعدُ من الرخام الأسودِ

والخسارةُ فادحة
الرخامُ الأسودُ المغسولُ بعنايةٍ والمتروكُ الى أن يجفَّ

بدّده ثورُ الصيفِ الهائجُ
والخسارةُ فادحة

مكتبة الفكر الجديد

قُتلَ الثورُ الهائجُ الذي جرجرهُ الصبيُّ الذي
جرجروه أمامي لكي يتعلمَ الرسمَ

كرّرْ بعدي:
المفتاحُ بيتُ السجّانِ

والفتاةُ التي نعستْ قرب العمادةِ
وارتخى كفّها على شمعدانٍ مسروق

ترى بماذا تحلمُ؟
بالغبار الذي يذهَب العيونَ؟

أم بالقطّة التي انسحبتْ من الكارثة وفي رقبتها جرسٌ يدندنُ:
خسارتُهم فادحةٌ

ومع ذلك يصعدونَ ويهبطون
مع ذلك يأتي سيّدٌ عارٍ

مكتبة الفكر الجديد

يحدّثهم عن مربعِ الكآبةِ المضيءِ
أو عن وردةِ الإندهاش التي تمسكُ بالمارّة من أسمائهم:

دالي
بيكاسو

خوان ميرو
أو كاندنسكي

كراتٌ صغيرة ملوّنةٌ في دورق زجاجيٍّ
ثعالبُ تتدافع على السلالم

الخسارةُ أنهم يصعدون ويهبطونَ
وما من أحدٍ تأكّدَ من وجودِ الماءِ قبل حدوثِ الفاجعةِ

ما من أحدٍ فكّر في أن يحرسَ قنديلَ الهواءِ السريّ القاسي
الآن تأتي خسارتُهم الفادحة

مكتبة الفكر الجديد

الآن يأتي سيّدُ الرملِ البائدِ
مأخوذاً بحقائقه الخمسِ

عارياً
يحدثُهم عن أهميّة الزيّ الموحّدِ

يحدثهم عن خسارتهم الفادحة.

٩٨٧

مكتبة الفكر الجديد

سرجناز...يأسها وشمعدانها

كتابٌ يُفتحُ في صباحِ مكتوبِ
تقرأه الخاصّةُ على مسامع العامّة أو بالعكس

بينما تضرب العامةُ على الدفوفِ تقرأ الخاصةُ:
عادلٌ في المحوِ

عادل في الإثبات
قائمٌ على الجبال بدمعٍ وميزانٍ مقلوب

لتبلغَ من كلِّ شيءٍ خفقةَ الحواسّ فيه ورغوةَ العبارةِ
وبعدُ

فإنْ كنا هدَمناك في أُخريات انشغالكَ بالبيت
فإنّ لنا خلف هذا الجدار صبياناً يضجّون:

مكتبة الفكر الجديد

مَنْ لنا بحدّادٍ يهدّ البابَ
من لنا بالشماليّ صاحبِ المشيتينِ؟

وها قد حفرنا لوجهكَ الأقاصي
رفعنا لك آلةَ الوجهِ

ووضعنا عنك آلةَ اللسانِ
لا لتأخذَ الأرضَ تلاوةً تلاوةً أو وجهاً وجهاً

لكنْ
لنعرفَ أيَّ الوجوه غداً سوف تُتلى علينا.

وبعدُ
ففي كلّ زاويةٍ أناديكَ كنْ مشرّدي وأسيري

فياليتني وإياك بيتٌ تشمّسه العيونُ وترقرقه الكركراتُ
وياليتني وإياك على معبرٍ واحدٍ نتلفّتُ

مكتبة الفكر الجديد

ننهضُ ببوق صغيرٍ
ومن ورائنا الصيفُ

والغبارُ
وصناديقُ الأسلحةِ

فما لأنيني قابضٌ سوى مناراتكَ اللاتي
غيابٌ دون توقّدها الفجرُ

وفقهاءُ الفجرِ المتكلمون على الشمسِ باللسان القديم:
شمسُ كفاءٍ تضاحكها شمسُ عينِ

وبينهما شمسٌ صغيرةٌ لتفقيس الدوابّ وتجفيفِ الملابسِ
نارٌ وزّانها أعمى وسائقها

وأمسِ
منذُ فجر أمسِ

مكتبة الفكر الجديد

اجتمعَ الملاحدةُ من كلّ جبالِ الكرد
من "بازيان" الى "قنديل"

وهتفَ نقيبُ الملاحدةِ بينما نساؤه يرفرفنَ على حبال الغسيل:
اسندوني باللهب

انعشوني برائحة التفاح
قوموني بالريح السوداء

"ره شه با"
لأني لم أخلُ يوماً منذ سرجنار وأشباهها من هتافِ وقوسِ قزحِ

لأني لم أتقنْ فنَّ الكيمياءِ
أعادوني مخفوراً الى الكهفِ

وهناك أقمتُ شريعتي بينكم
لأني لم أخلُ منذُ الأزلِ

مكتبة الفكر الجديد

منذ سرجنارَ وبدائلها
من شمسٍ مقروءةٍ وعاصفةٍ تعيدُ عليَّ الكهوفَ

أما الآنَ
وقد انحنت المرأةُ على خريفها لتبذره

وانحنى الخريفُ على الرجلِ لينضجه
وانحنى الرجلُ على المرأة ليذبحها

أدركتُ أنهم ميديونَ
بل أسنانُ مذراةٍ

بل ناقرو دفوفٍ أتوا من بعيدٍ
سكبوا دموعهم خضراءَ في المنحنى

وسقطوا مرتعشينَ يهنئ بعضُهم بعضاً:
هنيئاً لميديا يأسها وشمعدانها

مكتبة الفكر الجديد

هنيئاً لدلشاد الواقفِ تحت قيامةِ الغيم العابر
هنيئاً لهوشنك

يغمضُ عينيه على مصباحٍ مسروق ويضحك.
ولو قلتَ انهم ناقرو دفوفٍ لما أخطأتَ

فرعدٌ يربّيهم يربي سلطةً تتناثر أجراسُها في الفراغ
وشمسٌ ترفعهم ترفعُ الماءَ القديم وتمحوه

يقيناً سارقو مصابيحَ
ولكنْ

أحيّي فتوةَ الدمعِ فيهم والخجلَ الأحدبَ
أحيّي أسيرهم الواقفَ بين الضوءِ والظلِّ

خائفاً يرفع الميزانَ
ولو قلتَ أكلوني ولم يبقَ إلا الحواشي لما كذبتُكَ

مكتبة الفكر الجديد

فمرةً "لستُ لهذا ولا هذا لذاك"
ومرةً "زملني أيها البرق"

حتى تجاذبني أطلسٌ معتمٌ
واشتمل علي كتابُ الأكراد:

كتابٌ تقرأه الخاصةُ على مسامع العامّة
أو بالعكس

تضربُ العامةُ على الدفوف
والخاصةُ تقرأ

هنيئاً لميديا يأسها وشمعدانها
هنيئاً للضحكةِ تطردُ الضحكةَ

في فضاءٍ يبكي.

أنفال ١٩٨٨

مكتبة الفكر الجديد

قلعةُ أربيل

سمّهِ المكانَ إن شئتَ
أو سمّهِ الصباحَ الذي ينغلـقُ علـى الرجـلِ المهـرولِ وراءَ العرباتِ

تاركاً تماثيله تتبعثر هنا على المنضدةِ
هنا في الفردوس المكسور

أمام حدّادٍ ينعسُ
أمامَ صبيةٍ يلتهبُ في جباههم سيفُ العذوبةِ الأسودُ.

سمّها قلعةَ أربيل
وإن شئتَ فسمّها الحيواناتِ تتكدسُ في رقعةٍ خرساءَ

وتنتظرُ قيامتَها

مكتبة الفكر الجديد

تنتظرُ الربيعَ يأتي إليها بالماءِ والعشبِ وفرقعةِ السياط
ولتأذنْ لشمسٍ أخرى بالنزول الى مكتبات الأرصفةِ

إئذنْ للأمسِ أن يلدَ ملهاتَه من جديدٍ
ويسقطُ فوقنا حراً بريئاً

كاليدِ القابضة على المفاتيحِ في سوق التصريف
ودَعِ الصباحَ ينسج أحجيتَه وينسج معها جوابها:

ما اسمُ الصبيِّ الهاطلِ في فراغِ الأشجارِ
يتصفحُ لهبَ العالمِ بين يديهِ ؟؟

زوزك
أمْ هوشنك؟

هو لا يتذكّرُ

مكتبة الفكر الجديد

وهذه المكائدُ المحبوكةُ في الجانبِ الآخرِ من الشارعِ
حيثُ شجرةٌ كرديةٌ تطرحُ نفسَها على الغريبِ

وتغرقه فيغرقُ
ويحتمي الرصيفُ بلمعانه

وتتستَّرُ الأجسادُ على حنينها
ثم يدخلُ جميعُ ذلك في عينيه وأذنيهِ

بينما ألفُ شمعدانٍ ينهض ويضربُ بالخجلِ رأسَه ولسانَه
فلا يقوى على التذكّر مَنْ هو

هوشنك
أم أحمد؟

هو لا يتذكّر
ولا يتذكّر بالضبط من أين جاءَ

مكتبة الفكر الجديد

وما اسمُ هذا المكانِ
لكنْ

فليسمّهِ قلعةَ أربيل
فليسمهِ الصباحَ الذي ينتعشُ في أرجائهِ ذهبُ الأمكنة.

هه ولير

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

ميزوبوتاميا

عراءٌ هذا عراء
عبيدٌ مصفّدون يقالُ لهم هلمّوا فيتناحرونَ

إسفنجةٌ تمتصُ هديرَ ملائكةٍ بكّائينَ فوق المشاحيفِ
عجايبُ تلهثُ في مسلّة سوداءَ

شعبٌ يمضي
وشعبٌ يأتي

والأرضُ قائمةٌ منذُ الأزل.
خيرٌ لي أن يقالَ إبقَ كما أنتَ من أن يُرفعَ وجهي قدّامَ أوروكَ

فتختلف عليَّ الجموعُ
العبدُ بسلاسلهِ

مكتبة الفكر الجديد

والسيافُ بسيفه
والملائكةُ بموازينها

فلا أعود أُرى إلا رايةً تتقدّم في جيشٍ مندحرٍ
أو جيشاً مندحراً يتدثّر بالراياتِ

لأنَّ الربَّ صاعداً في اللهيبِ كلّمنا
بفمٍ دامعٍ أرسلَ سهامَه الى الشعبِ

فقلت أيُّ عراءٍ هذا
أيُّ عراء

ألمْ يبقَ من ظلماتِ المسبيينَ إلاكَ
تتخاطرُ ومعك عصاً من المنفى

من الركام الذي يتشبّه بقيامةٍ سوداءَ
بالعابرينَ بين نهرينِ

مكتبة الفكر الجديد

ينقبضونَ وينبسطونَ
وكلُّهم قلوبٌ بلا أجسامِ

وكلُّهم هتافونَ
لكنْ

هتافو شعبٍ مضروبٍ بأحابيلِهِ:
سلطةٌ تمحو سلطةً

عجايبُ تتهشّم في مسلةِ سوداءَ
والأرضُ ترتجفُ الى الأبد

آذار ١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

توأم

يولد الإنسانُ وفي فمه اسمُ قاتله

ومن يدٍ إلى يدٍ يدارُ به في فجر البيت، حيثُ القنديلُ الكاذبُ في أعلى النخلة يضيءُ له شمسَه الوشيكةَ، يرسمُ صرختَه والتقاء حاجبيه، وحيثُ أيادٍ كثيرةٌ تفتحُ له ممرَّ الهواء السريَّ ليعبرَ مختوماً بنقش هلال الدمِ، وحيداً تحرقه قبضة نارٍ بيضاء في لسانه الصغير، لسانه الذي يوشك ولا يستطيع.

على يمينه، أبوه يفتح له صناديق فارغةً ويهمس: خذْ كنزك المنهوب.

وعلى الشمال، أمّه تدسّ بين أصابعه عقاربَ الوقتِ وتأمره: وحيدي لا تكبرْ.

مكتبة الفكر الجديد

لكنه ــ في غفلة منهما ــ يولد ومعه أشبهُ الناس به، ويشبّان معاً ــ هو وأخوه الموت ــ صديقينِ برينينِ في فجر البيت، تحت القنديل الكاذب.

مكتبة الفكر الجديد

بسم الله

أنتَ يا بئرَ العطش
يا كنزاً أسودَ في فم الذئب

دعْ قنديلكَ الناطقَ بالأعاجيبِ يضيء اسمَ العراق، ارفعْ خرقتَكَ التي عصبتَ بها وجهَ بغدادَ، اجمعْ زينةَ الحربِ من عتباتِ البيوتِ، أجعلْ بنادقَهم مكانسَ لئلا يقتِلوا أو يقتَلوا، انفخْ سراجَك الذي يشعّ ظلمةً في ليل أمّي، ولا تتركْ حبيبتي تخرج خائفة من البيتِ إلى الجامعة ومن الجامعة إلى البيت، بل أختمْ على قلبِها بأبعدِ نجومِكَ حتى تعرفَ ــ وهي تشدُّ لك حجابَها ــ أنك العاصفةُ وقد ابتسمتْ أخيراً بعدَ طولِ خراب.

أنت أرعبتَ قلبَ صغيرتي وقد آنَ لها أنْ تلمسَ قلبك.

مكتبة الفكر الجديد

أما ملائكتُك الجوّابون من زاخو إلى الفاو، الملائكةُ الملثّمون ذوو البراثن والأنياب، فأرجعْهم بأحزمتهم الناسفةِ إلى الصحراء، واجعلْ لهم بئرَ عطشٍ يستقون منها الى أبد الآبدين.

وإذا جاءتك نساؤنا بسلالهنّ ملأى بثمرات أرحامهنّ فلا تملأها بحصتك التموينيّة حَسَكاً وخبزَ مذلّة، ولكنْ بالقليلِ القليلِ مما في خزائن غيبِك المكنونِ، بنكهةِ الفجرِ املأْها ورفرفةِ طيورٍ بيضٍ يضربْنَ بأجنحتِهنّ في صلاة العشاء، أغرِقْ عيونَهنّ كُحلاً وقلوبَهنّ كركرةَ أطفالٍ لئلا ينشغلنَ عن الصلاة اليك بأسماءِ أبنائهنّ، من مات منهم ومن هربَ.

مكتبة الفكر الجديد

يابئرَ العطش

دُلَّ الهدهدَ ، هدهدَ آبائنا المعدانِ، على ينبوعِ الهواءِ السريِّ فقد تكسّرتْ أقدامُ أرواحِهم حزناً عليه،

اجعلْ جبالَ الأكراد ذهباً وشلالاتهم فضةً لأنهم منذ ١٩٨٨ لم يختموا قرآنك ياربّ، كلّما وصلوا سورةَ الأنفال ماتوا وبيعتْ نساؤهم في الأنبار.

وبعدُ

فأنتَ أمرتَنا أن نبذرَ عظامَ أطفالنا وقلتَ انتظروا الحصاد، انتظرنا ولم يأتِ، أتى أعرابٌ بلحىً وكتابٍ كلّه أمراضُ دوابّ، وها أنتَ ترى إلى الآشوريِّ منتحباً على أنقاض كنيسته، الرافضيّ مدمّىً في كربلاء، والمندائيّ يستغيث بماءٍ سوف

مكتبة الفكر الجديد

تجفّفه شمسُ الغرباء.

انظرْ
نحن نكادُ ننقرض.

فيا كنزَنا الأسْوَدَ

يابئرَ العطشِ

أنتَ أرعبتَ قلوبَنا

وقد آن لنا أن نلمسَ قلبَكَ

قلبَك القديمَ الذي قرأناه في الكتب.

مكتبة الفكر الجديد

الهواءُ الأخير

الهواءَ الهواء..
هكذا صرخ المهرجُ الأعمى من باطن عزلته دافعاً بثقل الفراغ
إلى مزارعَ هاربةٍ من يديه

إلى قرى ميتةٍ يوم السبت
بجوار السوق القديم

غير إن الهواءَ ليس هنا.
الهواءُ في المداخن العاليـــة التـــي تتـــصاعد منهـــا الأدعيـــةُ والأمهات،

في دخانٍ خلّفه غريبٌ مطرودٌ من مكان مظلـــمٍ وعلـــى كتفـــه كنيستان تتقاتلان.

مكتبة الفكر الجديد

هكذا كنت اقول وأنا أتلمس طريقي بين حشود مريضة، حشود مقدسة
بينما تنحدر جوقةُ نساءٍ يتحدثن عن مساء قديم ،

عن قمرٍ بارد في الأسرّة
يدخلن بيوتهنّ

ثم ينتهينَ الى شحوبٍ او مطابخَ ..
وفجأةً

رائحةُ صبيٍّ يتماثلُ للشفاء ذكرتْني بحياتي:
عادةً كنت أتهيأ للصباحِ قبل بزوغِ الديكة،

ومرة اكتشفتُ نفسي أمام النافذة
معلقاً بخيطٍ من الضوء

مختنقاً وساطعاً

مكتبة الفكر الجديد

أنظرِ الى الجثث التي تمخرُ الضبابَ
الى الصبيّ المنهمر في المنعطف،

الى كلبٍ تيبّسَ تحت المطر،
وردةٌ طويلةٌ تسقطُ من الغمام

مكونةً نوافذَ وطواحين، أعياداً وغباراً ذهبياً حينها أرجئ
النافذةَ لفراغٍ آخرَ،

حينها أرجئُ الوردةَ لهواءٍ آخرَ
هواء يأتي من المداخن العاليةِ

من ممرّ طويلٍ
من شجرة محترقة.

حينها أرجئ أيامي كلّها لصباحٍ آخرَ وأتهيأ للكلام،
غير أني نادراً ما أتكلّم

مكتبة الفكر الجديد

وان تكلمتُ فأنا لا افعلُ شيئا سوى أن أحركَ الهواءَ،
أعذّبَ الهواءَ،

ومرةً جربت أن أقولَ كلاماً عن المستقبل فتساقطتْ من شفتي المرايا،
ومن يومها اختلطتْ عني الأمورُ

فصرتُ حين أريدُ أن انطقَ بأسمي أعدّد أسماءَ أعدائي واحداً واحداً
وحين أردُّ التحيةَ يمتلأُ المكانُ بالاقفالِ

لهذا لم أكنْ قادراً بأيّ حالٍ من الاحوال على أن أغيّرَ مجرى حياتي
لم يكنْ بمقدوري التدافعُ إلى الأمام،

مكتبة الفكر الجديد

كان عليّ أن أخلي المكانَ لصغار المتكلمينَ،
صغارُ المتكلمين أجدى مني
في ألسنتهم خدمٌ يردّون التحيةَ

أمّا أنا
فكان عليّ أن أصرخ من باطن عزلتي

دافعاً بثقل الفراغ إلى صبيةٍ يتضاحكون أمام حدادِ قتيل ،

الى طفلٍ تكهربَ بالطاقة القمريةِ في غرفة الدرس ،

الى اصبع قويّ يشير إلى المباني وهي تعلو ثم يتذكر ريفه فيشيخ.

لأن الهواءَ ليس هنا،
الهواءُ في النوافذ التي لا تطلّ ،

مكتبة الفكر الجديد

الهواءُ يتهشّم مثل لا أحد في طريق طويل.
أكتشفتُ خطأً وسميته (نحن)

هذه أوّلُ العتمة

هذا آخرُعهدي بالموسيقى
(آلافٌ من الأوراق الميتة تتساقطُ على الرجل المهرول

تاركاً أثراً من دخان

تاركاً أثراً من أنين
قرىً تتطاحن)

هذا أوّلُ ما حدثتُ به نفسي وأنا أهيئُ الفراغَ لنوافذَ جديدة

أهيئ الهواء لمداخنَ عاليةٍ
لأرصفةٍ بلّورية

مكتبة الفكر الجديد

لساحات يتصاعد منها هديل الحمائم
لشراشفَ خضراء تخفق فوق حبال الغسيل

ولـ (أحلام) تجلس قرب المدفأة وتبكي أيامها الاخيرة ،
- يا أختُ

هذا قميصي مبلّلٌ

وهذا معطفي، معطفُ الشاعر في الخزانة يرتجفُ من البرد
وكمن ينظر الى قبره تنظرين اليّ، أنا تفاحتُك المظلمة ..

كمنْ ينظر الى سواد أيامه تنظرين اليَّ
ثم تدخلين في صباحك مخلفةً أثراً من دخان

مخلفةً أثراً من أنينٍ
قرى تتطاحن،

مكتبة الفكر الجديد

هذا آخرُ ما حدثتُ به نفسي وأنا أتصيّدُ الهـواءَ فـي الغـرف السريّةِ
ماسكاً بطرفِ ثوبك

كنت تزدادين طولاً
تنامين في الشتاءِ بينما قدماكِ تلامسانِ الربيعَ

كم كنتِ طويلةً
أتلمسُكِ كما يتلمّسُ الاعمى المقتولُ بياضَ دمهِ

كمْ كنتِ طويلةً ومجدبةً
وكم كنتِ بارعةً في البكاء حين ارتختْ أصابعُ الغريـبِ تحـت ثدييكِ

في ليلةِ عطاردَ، قربَ سور الأكاديميةِ
ارتختْ أصابعُ الغريبِ

مكتبة الفكر الجديد

وهبطَ بك الى بابهِ الحجريّ موقظاً بيديه المظلمتينِ حشداً
من الديكة تحت السرّة

فاتحاً في جسدكِ مطراً يبلّلُ الظلامَ
مطراً يشبه القهقهةَ ،

وهاهو ميراثكِ: هباءٌ يتنفّسُ
هاهي ودائعكِ: العصافيرُ الكبيرةُ تفتحُ الغرفَ السريّةَ

وتقرأُ غباراً يدلّ علينا،
سلالُ الفاكهةِ تخرجُ ممتلئةً إلى الطرقاتِ

لا مساءَ اشدّ مرحاً من هذا المساءِ
لا نواقيسَ أشدَّ بهاءً من قرعِ يديكِ على الفراغ ،

وهاهي هزيمتُك : بوقٌ وحيدٌ يتذكركِ فيصمتُ

مكتبة الفكر الجديد

هذه أوّلُ العتمةِ
هذا آخرُ الهواء .

بغداد ١٩٨٥

١٠٠

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

محمد صلاح

غداً

في نهارٍ مضادٌ كهذا

في هواءٍ كالسائح يلتقطنا ويهدينا لطفلٍ ساهمٍ

اتملّاكَ

اترقّبُ اعيادَكَ منقوعةً بسمومِ الخطأ والصواب

أتتبعُ وجهكَ راجعاً من نزهاتِ غفلٍ

يتفرسُ في سواد التماثيل وينكرني

مكتبة الفكر الجديد

سأكونُ أباك تارةً

وتارةً بركاتَك الوقورَ

إلى

أنْ تنكسرَ بيننا هذه الكأسُ

ــ الكأسُ المترعةُ بعيونٍ لا تنامُ

إلى أن أموتَ ويوقظني العقربُ

العقربُ المنزوي يساراً

في صدركَ الصغير.

مكتبة الفكر الجديد

نادرا ما يحدث هذا

نادراً ما يحدثُ هذا

فمن الطبيعيّ أن يصغي النائمُ لغبار تنفسه
وهو يبرّر وحشته بين ثلّةٍ من مشيعيه
ومن الطبيعيّ بل ومن الضروريّ ايضاً
أن يتأكد الآخرون من نظافة ميتته
فيضطرون لقتله مرةً أخرى
ثم يبادونه بأحبّ الاسماءِ لديه

لكنْ
أن تمتدَّ يدٌ من الضريح لتصافحَ الغرباءَ
فذلك أمرٌ نادرُ الحدوثِ

ولأنه حدثَ

مكتبة الفكر الجديد

فقد خسرنا ــ نحن المشيّعينَ ــ لذةَ الهتافِ بأسمائنا
خسرنا فرصةً برينةً للقتل
ببينما خسر المسكينُ ميتةً بيضاءَ أخرى
وربحنا جميعاً هذه اليدَ الممدودة

١٩٨٧

مكتبة الفكر الجديد

أقـوال
قصيدة حبٍّ قديمة

إلى ميديا دائماً وأبداً

لنغيرْ تفاصيلَ أحلامنا
لنقلْ: نارُنا اكتملتْ

ومصائرُنا طائرٌ يتخطى حدودَ الينابيعِ
مشتبكاً بالفراغِ

ومن حوله جثثٌ تتصاعدُ
أو فلنغيرْ قليلاً نداء الحقول،

أقولُ:
غداً ــ مثلما كلَّ يومٍ ــ نجيءُ مع الفجر

مكتبة الفكر الجديد

ملتبسين نقول كلاماً عن الشمس
ما الشمسُ؟

ــ قبرٌ يضيء
قناديلُ تشتدّ في اليأس

قبّعةٌ رُميتْ في الفراغ
دمٌ يتقوّسُ

ديكٌ يشبُّ إلى منتهاهُ
أقولُ: المآذنُ عالقةٌ في ثيابكِ

والماءُ منحدرٌ من ضحى جسدي لضحاكِ
أهدُّ عليكِ المناخاتِ حين أقولُ: أحبكِ

حين أقول :الأغاني هباءٌ، تنزّينَ في أوّل القوسِ
راجعةً بالحقول إليَّ..اليَّ

مكتبة الفكر الجديد

تقلدتُ رابيةً وصهلتُ من العشق : هذا سطوعي
أمّا وقد هدلتْ في الكآبة عيناكِ

وازلزلتْ خضرةٌ وتداعى سراجٌ عليلٌ
فإني أمدُّ الطقوسَ إليكِ محملةً بنشيجي،

بما يجعلُ النهرَ نهراً نشيرُ إليه ولسنا نراه،
أراكِ أمامي تحتشـــدينَ

كأنكِ عشرونَ أرملة يتصاعدن من مقعدٍ ضحكاً أو دخاناً
أقلّبُ كفيَّ

بي زرقةُ الميتينَ
أفتّشُ في جثتي عنكِ

عن مطرٍ
عن حمائمَ تنفض عتمتها في دمي

مكتبة الفكر الجديد

وتهيلُ عليَّ القرى
حجراً

حجراً
نارنا اكتملتْ

ومصائرنا ورقٌ يتيبّسُ قبلَ الأوان
فمنْ في غيابي يهدُّ الحقولَ

ويمكثُ في القتل حياً ومنطفئاً تحرثُ الأرضَ عيناه؟
هل أختفي مثلما يختفي العاشـــقون؟

بصمتٍ أقبّل هذا الفراغَ وأرحلُ
أتركُ خلفي الينابيعَ مغلقةً ومضرّجةً بالمحبة

حتى إذا شهقتْ صخرةٌ فاضَ وجهي عناقيدَ تهطلُ منها الذبائحُ
او زقزقتْ جثثُ الغرباء

مكتبة الفكر الجديد

انتهيتُ الى مقعد أتلمّسُ كفيَّ
بي زرقةُ الميتين

تقولين: في الارض متّسعٌ لسـطوع الكواكبِ
متّسعٌ لجحيمٍ يفقّس أجسـادنا

وتقوليـن.... هذا كثيرٌ
تقولين لي: نارنا اكتملتْ

وغداً ــ مثلما كلَّ يومٍ ــ
نجيءُ مع الفجر

ملتبسين
ونقصدُ ما لم نقلْ.

١٩٨٤

مكتبة الفكر الجديد

هاملت

هذه قيلولةُ الملكِ المسمومِ
عواصفُ مموّهة كأنها لا أحد

كانت تسندُ رأسي .
ريفٌ حزينٌ يخفقُ في صدري

و حين رفعتُ كأسَ النبيذِ عالياً
حطّ غرابٌ أشيبُ على البلاط

وتعثّر بالأقنعة:
ــ هذا قناع الملك أبي

موحِشٌ كأنه بقايا قاربِ
يستغيث .

مكتبة الفكر الجديد

ـ وهذا الوجه المضرّجُ بالعشب
قناعُ أمّ موؤدة بالخبز البارد

تهشُ على إله الظلمات .
ـ أما القناعُ الأزرقُ

ذاك الذي يسترُ حنينه لصقَ الموقدِ
فهو قناعي

و قد تكاثرتْ عليه الألسنة.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

وجع أضراس

قديماً قلتُ: وهكذا مضتْ حياتي شبيهةً بوجع الأسنانِ
أما الآن فأقول:

أيها الواقفُ بين شجرتينِ محترقتينِ
عليك أن ترسّخ معتقداتك

عليك أن ترسخ أوبئتك.
فما الذي تغيّر؟

ربما عطلي عن العمل
ربما قوّةُ الظلام

ربما اللسانُ القديمُ يسقطُ من أكوام الكتب فترتعشُ لـــه يـــدي وخاصرتي

مكتبة الفكر الجديد

غير اني حاولتُ .....
كثيرون قبلك حاولوا ولم يجدوا القيامةَ إلا في كتاب الفقهِ

أما أنا فقد وجدتُ القطيعَ الكبيرَ يصعدُ بسلاسله الى الهضبةِ
وجدت العظامَ (عظامك) ملفوفة بجريدةٍ ومقذوفةً من النافذة،

وجدت الأسنان (أسنانَ المذراة) منغرزةً في عنق النائمِ
وجدته (هو) بين شجرتينِ محترقتينِ

يترنّح تحتَ وطأة وساوسه الشاقّة.
ماالذي تغيّر؟

بلاغتي تسحلُ نفسها مخضبةً بالطاعون
بلاغتي ــ إسفنجتي تمتصّ رغبتي بالبكاء

وهذه البوصلةُ

مكتبة الفكر الجديد

منذ أوّلِ أمسِ تنقلُ لهاثي اليك
فلا تصدقْ

هذه ذخيرةُ الإنسانِ
منطوياً على نفسه

يسحقُ في تلعثمهِ مركزَ الآلهة
يتلفُ ممرَّ الطيورِ الكسيرةِ

يتلِف
ويتلَف

كلُّ شيء عندنا ينتظم وفقاً لهندسةِ التلفِ
فما كان اكتشافاً، فلسفةً، يقيناً لا ريبَ فيهِ

فهو الآنَ دلوٌ مثقوبٌ
أو ضرسٌ منخورٌ يتقلقل.

مكتبة الفكر الجديد

وهكذا مضتْ حياتي شبيهةً بوجع الأسنان.

زاخو ١٩٩٢

١١٦

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

تأريخ أعمى

– ١ –

جنّة في منعطفِ يهذي بالفتيات

شاحنةٌ عجولةٌ وضبابٌ عَجولٌ

هذه قشرةُ العالمِ.

مكتبة الفكر الجديد

-٢-

برائحةِ قرابين الشُكرِ في بيتِ العبيد،
بربيعِ ماكنةِ الخياطةِ في ضحكةِ كوثر،

بأحمد ودوَي قرآنهِ
وقولهِ: أتزوجُ أمْ أتركُ بلاغتي تشفيني؟

بذلك كلّه جعلتُ وحدانيتي وفقاً لوحدانيةِ كسولةٍ،
جعلتُ سُلالمي وفقاً لسلالمَ سامّة

وأمنهاتٍ يتدحرجنَ من السلالمِ،
جعلتُ تأريخي وفقاً لقولك:

التأريخُ ليس هو النهرَ، بل ضربةُ المجذاف.

مكتبة الفكر الجديد

- ٣ -

سيظلّ دور التأريخ ثانوياً ما دامت هذه القرابينُ الطريّةُ، هذا اللهاثُ الذي ينقل بيننا علماً سوّيا، دياتةً فلكيّةً، وما دامتْ بهجةُ المؤرخ بهجةُ الشجرِ المشرّد في مغيبِ كلّه يتكلم، لكن بفمِ أدردَ يصّفقُ في آخر العبارة، فإني أبشّر بسماءٍ مرّة، برنينٍ يثقل الوجوهَ التي تسقطُ مصفّدةً ونائحةً كأنّ جيشٌ هاربٌ يسوقها، كأنّ رماحهم الليّنةُ في كبدِ اليائسِ بكاءُ صبيٌّ تائه بين الأحراش، أو وردةٌ مضبّبةٌ تشقّ طريقها في زينة المآتم.

فلا تأريخَ إذاً،

لأنه ما من واقعةٍ الا ودلّ إنْدكاكُها على استحالةِ إبدالها بسواها،

خفقةُ الوعيِ كائنةٌ أبداً في ارتطام الأجساد، في اشتباك الأيدي قبل أن تنفتحَ المظلاتُ، في العفونةِ الوشيكةِ حين تبتعدُ الطائرةُ

مكتبة الفكر الجديد

التي ألقتْ هذا الحشدَ من الجنائز.

خفقةُ الوعيِ كائنةٌ في كلّ ذلك، والأرضُ تنتظرُ.

وكيفَ لا تنتظرُ الأرضُ مَنْ به مثلُ هذا الكمِّ من الحجارة، هـ
القدرُ من السبخِ الأصليِّ الذي يوشكُ ان ينطقَ، هذا الذي ما ا
نسترسلَ حتى يندسَّ بين صفوف السامعينَ محطّماً فيهم أعمد
ومرايا وماحياً من أعماقهم نكهةَ الفجرِ وخمسين عامـاً مـ
الزينة الحقِّ.

مكتبة الفكر الجديد

- ٤ -

حقاً: من العماء، من ظلّ الشجرة الوحيدةِ في بيتنا،من حزمـــةِ الفؤوس التي باشرتْ عملها في العدمِ الشاسع، انبثـــقَ نـــورٌ عظيمٌ أضاء قلب الشجرةِ حتى صار فيها (فـــي الـــشجرة) مـــا يشبه قبضةَ اللهبِ وانبعثتْ منها روائحُ كأنها روائحُ قـــرابين الشُكرِ في بيتِ العبيدِ، فلو أنّ رائياً رآها من سطحِ الدار لقال: لقد احترقتْ الشجرةُ الوحيدة في البيتِ المنخفض الذي نشبّهه لفرطِ هزاله ببيتِ العنكبوت.

مكتبة الفكر الجديد

– ٥ –

التأريخُ قماشٌ

وهذه الإبرُ التي ترفو قمصاننا الممزّقةَ هي ذاتُها التي تخـيطُ الربيعَ بالمنفى، والغبارَ بمديحِ منشغلٍ بمن يهجوه،

كأنما الألوفُ التي خرجتْ وتفرقتْ في الأقطار ظلامٌ يخفقُ فـي رايةِ مثقوبةٍ، أو لمعانُ ماكنةِ الخياطةِ في ضحكةِ كوثر،

أو أنا وكوثرُ وأصنامنا في ثقبِ الإبرة خيّاطون

والتأريخ قماش.

مكتبة الفكر الجديد

- ٦ -

لعلّك استحيتَ

لعلّك عثرتَ على ذهبٍ

فتكدستَ معه.

مكتبة الفكر الجديد

– ٧ –

ما هكذا اللهُ
ما هكذا رعاياه ماتوا قبل أن ينجزوا حطامَ سؤالِهم

ففي كلِّ واقعةٍ خرساءَ خدّامٌ يرسلون المديحَ لخرابٍ أعزلَ،
وأنا الممتَدَحُ بلاهوتٍ وكمائنَ مكتوبةٍ ضدّ لا أحد.

سماءٌ مسموعةٌ أنا
وقلبي – من بين قلوبٍ كثيرة – وقعَ عليه الكلامُ إتفاقاً

وإلا فما هكذا اللهُ
ما هكذا عهدي بهندسةٍ تنشُ الرئةَ السريّةَ التي تتنفّس مصيري.

يقيناً، واقعةٌ خلّبٌ جعلتْ غيابي غيابَ نبيٍّ
وحضوري جيشاً يتدحرجُ في المهوى الشاسعِ
دونَ دموع.

مكتبة الفكر الجديد

- ٨ -

بشرٌ مثلنا في البيتِ ينعشون لسانَهم الخاصَّ، لسانَهم الشائعَ، لسانَ كوكبٍ مربوطٍ بمكابدات الحجر وصلصلةِ ملائكةٍ مجانينَ ينتحبونَ في دورق الزجاج.

(دورقٌ سرقتْه مرآةٌ كبيرة وجعلتْه يرتدّ الينا شبيهاً بالعدم، ضوءاً منعكساً في آنية النحاس، في عينَيْ كوثر، في معدن ماكنةِ الخياطة،
انعكسَ الينا مزقاً، وليس بيننا من يستطيعُ أن يجمعَه من جديد)

هذا..

بينما الرعدُ المريض ينشر أبواقه المريضةَ في أذنينِ ناعستين،

عقائد موجعة
مكتبة الفكر الجديد

بينما بشرٌ مثلنا في البيت،

في صرير الأسرّة يلتطمون:

مَنْ ربّكم؟

إذّاك ضاعتْ النسخةُ الأصليّة،

اختفتْ نصوصنا الحقيقيةُ

وبقينا نتقلّبُ حتى الفجر

في نُسخٍ مزوّرةٍ وسامّة.

مكتبة الفكر الجديد

- ٩ -

مجدٌ قاحلٌ لآخر النهار

مجد لمن يُقاد الى المصحّ مدهوناً برائحة الطبيعة

مجد لمن يصمتُ بين يدَيْ حلّاق يحدثه عن النرجس

مجد لمن يُفتتن فتنةً عظيمةً

فتبكي أصنامه تحت ابطيه.

مجدُ لمن يقول:

ليس هذا هو العالم بل قشرته.

١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

رسالة في ان الوجود خير محض على كلّ حال

أسماؤنا مكتوبةٌ أبداً في قراطيسِ الألم.
بآذاننا نسمع صخبَ العالم يتدحرج في المهوى الشاسع دون دموعٍ، وبأعينِنا الكليلةِ نبصرُ، كلّما كَبُرْنا، بهتاناً تلوَ بهتانٍ ورعباً يهدهدُ هذا الكوكبَ الذي نتخاطرُ فوقه بظلالِنا الكثيفةِ.

فنحن في الوجود

في فراطيس الألم قرأنا أسماءنا وكم تمنينا لو أننا بلا أسماء، ودَدْنا لو أن هذه الصحائفَ المنشورةَ أغفلتْنا، أو لو أننا سطونا عليها ومحونا منها كلَّ إسم ورسم لنا ... لكنْ

أكنا سننجو؟
لو لم نوجدْ أكانت ستحلُّ علينا نعمةُ العدمِ التي قال بها

مكتبة الفكر الجديد

المعريُ وآمنّا بها سواداً على بياض دون أن نتدبّرَ الأمر، دون أن نعرف العدم، فنحن لمّا نزلْ في الوجودِ؛ والنعمةُ الوحيدةُ القادرون على أداءِ شكرِها نعمةُ أنْ نوجدَ ونتألمَ.

وإلهُنا؟ أيُّ إلهٍ لنا؟

الالهُ الأوحدُ الذي عفّرنا له الجباهَ ليس إلهَ اللاشيء، بلْ ذلك الذي لا يكفّ عن الإيجاد، هو الذي دوّن أسماءنا في قراطيسهِ الأليمةِ مرةً والى الأبد.

وبعدُ ...
أيّةُ نسماتِ عِذابٍ كانتْ ستنعشُ عدمَنا لو لم نكنْ؟
أيّ برق خلّبٍ أضاءَ لنا وجوهنا التي لم توجدْ؟
لا شيء
لأنه ما من شيء في العدم

ليس سوى خراب الآمادِ يرفّ على هذا التُخمِ الذي نَحنُ عنه غائبون، وغائبٌ عنه الليلُ والنهارُ، والسعادةُ وشقيقها الألمُ غائبانِ عنه كذلك.

مكتبة الفكر الجديد

لكننا ننسى

لفرطِ ألمِنا ننسى

وإلّا ما بالنا نكون في الشيء ونتنكّرُ له؟

ولماذا، ما ان يطأ الألمُ عتبةَ بيوتِنا حتى نشهق حنيناً الى العدم: ياليتني متُّ قبلَ هذا، قالتْ مريمُ وهي تضع وليدَها الحيَّ، محيي الأموات.

(ياليتني متُّ) يلهج بها لسانُ كلّ متألمٍ قبلَ أن يأتيه نداءُ (لا تحزن)، قبلَ أن يبصرَ بعينه الكليلةِ النخلةَ وسطَ البيت، نخلته التي إذا هزّها تساقطتْ عليه لطائفُ كلِّ شيءٍ رطباً جنياً.

والآن إسمعْني

مكتبة الفكر الجديد

أنا أجهل كلَّ شيء عنك أيها العدمُ. وأعرفُ أن أمراً لا أباشره إلا بجهلي حريٌّ به أن يكون الشرَّ المقيمَ. أجهلُك، وإذا ما طلبتُك يوماً وأنا أتقلّبُ على سريرِ الألمِ فلستُ أيّاك أريدُ، ولا في نَيلِكَ راغبٌ، بلْ جهلي الذي أجهلُك به؛ يدعوكَ من قرارتهِ لتتلقّفَه، فخذْهُ وأترِكْ لأذني نداءَ الجهات كلها: (لا تحزن)، دعْ لعيني الكليلةِ هذه أن تبصر النخلةَ الطالعةَ الآن من منبتِ اليأس، من أصلِ أصولِ الأنينِ، سامقةً تنتظر اليدَ التي تهزّها.

أنظرَ الى جهلي الذي أجهلُك به؛ كيف يزهقُ تحت ضرباتِ هذا المعول المقدّس، إنه زاهقٌ في توالي طعنات الوجودِ الأليمةِ، زاهقٌ ويحنّ الى بيته، الى سكنه الأليف، يحنّ اليكَ أيها العدمُ، إذْ أنتَ مألفُ كلِّ باطل، وأراضيكَ البورُ أراضيه.

موطنُ لاشيء أنتَ، بلادُ لا أحد.

أما أنا

مكتبة الفكر الجديد

فالسلامُ على ألمي أحملُه كرهاً وأضعه كرهاً

سلام على الحيّ فيّ

على حروف اسمي في الرقوم المسطرات.

وغداً إذا ما متُّ، أترك لي يارباُّ قطعةً من فجرٍ كنت أتلوّعُ فيه

هَبْ لي ضَنَكاً وحيرةً أعرف منهما أني موجودٌ

وإذا تلطفتَ فإمنحني كسرةَ ليلٍ أسكنُ فيها

وشمساً في الغيابِ تنتظر.

تورنتو ٢٠٠٣

مكتبة الفكر الجديد

محي الدين بن عربي

أأدخل؟

صرير الابواب في لساني

وعلى عنقي طائر ــ هدهدٌ محترقٌ يزعق:

الاملَ..الامل.

أأدخل؟

بهائم الذهب رابضة على كتفيّ

وممسوس بلا شيء

مكتبة الفكر الجديد

بالكنز الذي استودعتَه المتاهةَ

ممسوس بك

باليقين يغمض عينيه ويفترس الموقنين.

أأدخل؟

حسبي أراك، شريكي في مداولات العدم، خائضاً في دم يتغضّن ، كأنما الجيش الذي يَزِنُ يديكَ يزن أولياءك ومعسكراتك فلا يجد سوى قبضة ملح نُثرتْ في فردوسك الاسود

(باطلٌ الفردوس يسمع ولا يستطيع

باطلٌ سحرُ الفجر مذْ سلطان

الليل وسلطان النهار تناوبا

مكتبة الفكر الجديد

عليه بالضحك والبكاء)

حسبي رأسك المرفوع ينهدّ لتتلقفه الأعين

ثمّ يتماسك ليقرأ:

الوجدان بئرٌ مردومة بأحجار الشطرنج

الوجدان خشوع أسودُ يستأنس به البياض

لكنْ

الى الآن بابٌ معجونة بزمهرير الأبدية أتطلّع منها اليك

يا مسبيّاً وممتحناً بلهب مسبيّ وأصابع تنغرز في اللهب،

الى الآن ناقوس منكّس وقبر عادل يقطع عليَّ الطريق،

مكتبة الفكر الجديد

الى الآن فجرّ عاطل يخلطني مع وحوشه الشقر، فلا أفقه:

أهذه خرائط الصحراء أمْ أعماقكَ تتكرّر عليَّ

أم حوصلة غراب يتمرّغ بالذهب؟

وهذه القصيدة

قبّة العالم تتآكل فيها البروج

أم مرآتي الخرساء تعكس غيابي عن العالمين؟

بمثل هذه الوساوس تكلمتُ والأزل

بـــــ(كتبتُ قصيدتي على ضوء مصباح مسروق

فهل في ذلك إثمٌ عليَّ)

مكتبة الفكر الجديد

أو بـــــ(بئرٌ حفرناها في صعودنا

ردمتها عيون المنحدرين)،

بالقداسة،

بالجنّة تحت أنياب الأفعى،

بالقفص مستسلماً لنسور تتساقط في البعيد،

بالحجر الأسود أحبّه البنّاؤون

ودارت عليه ثيراتهم الطليقةُ،

بهذا وأمثاله كلّمتُكَ

ولمّا رأيتُ اني لا أنطق الا سحراً وعبوديّة

مكتبة الفكر الجديد

قلتُ: لعلّي محيي الدين في آخر العبارة

أو يوسف ومعناه يتقاتلان في أحشاء الذئب،

ثمّ سمعتُ ما يدلّ عليَّ

فتقدمت من اسمي كالضريح:

أأدخل؟

ما أتيتك الا وصرير الابواب في لساني

يسبقني اليك.

١٩٩٤

دمشق ــ مرقد الشيخ ابن عربي

مكتبة الفكر الجديد

الاسم

ما اسمُكَ ؟

أنينُ أبٍ تتعرقُ أصنامه تحتَ ابطيه، أم تحديقةُ صقرٍ يزيحُ عن العالمِ رغوةَ الظهيرةِ،

أمْ الأمهاتُ في صحنِ البيتِ يضمّدنَ جرحَ البيتِ ويسندنَ نخلةً تتهاوى، أمْ أنا، وأنا أصعدُ السلّمَ، أعمى تقتاده بسالته الى فخاخه الأربعة:

الألف

الحاء

الميم

الدال

مكتبة الفكر الجديد

على السطح كان الهواءُ يلعب بحبل الغسيل ورملِ البروج، كانت القمصانُ ترفرفُ يائسةً، واسمي الطفلُ خفيفاً يكاد يطير.

كان لي إسمٌ

وحدثَ اني نزلتُ السلّمَ مسرعاً وكلّي عيونٌ تبكي، بعد فوات الأوان، أباً يقاسمني الفجرَ وهسهسةَ النارِ، وسمعتُ من يهمس ورائي:

إنا أنزلناه لنريه الألمَ وصريرَ الأسنان،
إنا أنزلناه وسقيناه بالإسفنجة خلّاً،
إنا أنزلناه لنحرقَ أكليلَ الشوك على رأسه،

إنا أنزلناه ....

وكانت الهاءُ في (إنا أنزلناه) إشارةً الى هويةِ الغيب المطلق : (هو).

مكتبة الفكر الجديد

(هو) الموؤدةُ ملامحه فيَّ،
القارعُ طبولَه الخفيةَ في أذن طفولتي العمياء.

أينه؟
أين أسماؤه وصفاته تتحايل على أسمائي

وصفاتي لتستدرجني الى الصحراء؟

فيا هو، أيةُ متاهةٍ استدرجتْك وكم من المرايا ردّدتكَ حتى عدتَ اليَّ مثقلاً بالأنفاس، كأنما أنا ما يذكرني بكَ أيها النابضُ في ملابسات اليقين كالقلب، كأنما أنا ما يسترُ حنينَكَ اليَّ، أنا ما يضعُ بيني وبينكَ هذه الغلالةَ المزركشةَ بنداءاتِ الإستغاثة:

ألف : نداءُ ملائكةٍ خرساءَ توقظُ الجهات

حاء : نداءُ وعلٍ جريحٍ على فم الينبوع
ميم : نداءُ قاربٍ يتشظى في قهقهة البحر

مكتبة الفكر الجديد

دال : نداءُ عقيقٍ مرفوعٍ ليُختَبرَ في عين الشمس.
إسمي ندائي على نفسي كأني أنادي على بائع الصحف الأصمِّ،

نداء لا يصلُ إذ يصلُ إلا سدى
كنداء ميديا في مطارٍ ممطرٍ تدفع حقيبتها وتضحك،

كنداء كوثر في مقامِ التمكين تسأل عن وحدة الوجود وانقطاع الكهرباء.

هذه النداءاتُ الخفيضةُ ذكرتني بأبي،
كان يقول :

الإسم بيتٌ لا يمكن الدخولُ اليه لا من أعلى ولا من أسفل، لا من الأمس ولا من اليوم، لكننا مع ذلك نتلاطمُ فيه كما لو انه وكرُنا المكينُ، منبتُنا الذي لفرط اندكاكنا فيه، ننساه، أو لعلّه الفجاءةُ التي قبل أن نفهرسها تكون قد باشرتْ حفرها في هوائنا القريب.

مكتبة الفكر الجديد

وتذكرتُ أيضاً:

كلُ الأسـماءِ، ومثلها إسـمي، رسـائلُ أُحرقتْ قبل أن تُكتب.
كلُ الأسـماء إشاراتٌ الى هويـَة الغيب المطلق: (هو).

هـو: الرحمُ الباردُ الكاذبُ السـامُ الـذي بانقباضـه وانبسـاطه أكـون.

هـو: جمهرةُ فراغٍ تسـدُ عليَّ الطريق.

هـو: قنطرةٌ مردومة بين الإنـسـان ونفسـه.

وأنا، كانَ لي إسـمٌ

وحدث في أخريات أيامي أني رأيتُ في المنام أني أذبح أبـي، فاستفقتُ وفي يديْ مقبضُ سـيفٍ، وعلى رأسي طائرٌ بلا إسم يزعقُ:

مكتبة الفكر الجديد

يا هــو، يا هــو، كم من هواءٍ تكــاثرتْ عليــه الأجنحــةُ ولا يطيــرُ إلا بكَ.

ومن يومها لم يعدْ لي إســم.

ــ ما اســمُكَ ؟

ــ نارٌ تريد أن تنطفئَ ولا تســتطيع.

١٩٦٩

دمشق

مكتبة الفكر الجديد

زهرة سوداء

وبعدُ..

ماذا سيقالُ في الروح أبلغُ مما قاله سكران:(الـروح خنثـى)، لكنّي تهيأ لي، في جلسة خمر، أن الخطأ الحيَّ الـذي يخـالط وجودي له نحوُ ارتباطٍ بالنسيان، نسيانِ ذلك المغزى الـشاق، المعنى المبدّد في دعابة فيثاغورس: (العـالمُ عـددٌ ونـغمٌ). وتذرتُ أن في قوّة المصطلح تأجيلاً أبدياً للمعنى، بمقدار مـا في كلمة الفجر من ليلٍ ونهار، فصرت أطلبُ الروحَ بنقيـضها، والجسدَ بلطائفه المخبوءةِ فيه، وقلتُ: فلينمْ من لم يرَ زجـاجَ الزجـاجةِ، أما أنا فقدْ رأيتُ الروحَ – القنديلَ الذي من رآه لم ينمْ. وقلتُ: يا ربِّ ليكنْ لي أربابٌ على قدرِ خطاياي، وأصدقاءٌ يترامزون بالكنايةِ، بالاستعارات الشاقّة التي كنا نتلاسنُ بها في جلسةِ خمرٍ، نحن الأنبياءَ الكذبةَ الذين تكلّمنـا عـن الـروح فأفسدنا قدّاسَ الأرضِ، سحقنا الكرمةَ الوحيدةَ التي تعبتْ قلوبُ الماءِ في ريِّها.

مكتبة الفكر الجديد

لكنْ الروحُ روحُ مَنْ؟

الشابُّ الهزيلُ الذي لطمَ وجهَ حبيبته بزهرةٍ سوداءَ، وحده يدركُ أن مأتمه لن ينقضي ما داما، هو وإياها، اثنينِ، روحينِ، ضربتَيْ مجذافٍ في نهرينِ لا يلتقيان.

وهكذا فالزهرةُ السوداء التي سقطتْ في الوحلِ صارتْ علامةً على انهدام الروح.

روحُ مَنْ؟

أكرّر سؤالي وفي خاطري أسماءُ كلِّ أولئك الذين انتهوا إلى هذا الحطام الشفيف، الذين تكسرتْ مراياهم وهم يتتبّعونَ المسارَ اللعوبَ لهذه الأميبيا المقدّسةِ، وإلا كيف يُعقلُ أن شخصاً ما، في جلسةِ خمرٍ، تذكّر فجأة أنه هو وروحه شيئانِ متناقضان، وأنهما معاً فائضانِ عن حاجة العالم؟

مكتبة الفكر الجديد

لعلّه ارتبك ليلَتها، ضحكَ من الرعبِ أو أخفى قلقه بالتـــدخين، غير انه حين عاد إلى البيـــت، وقبـــل أن ينـــام، كتـــب فـــي مفكرته:(الروح خنثى)، وعندما استيقظَ لم يعرفْ بالضبط ماذا أراد.

مكتبة الفكر الجديد

زواج متأخر

المرأةُ تنهمك بالدموع والموسيقى، بترابٍ تكدّسه آخرَ الظهيرة ثم تدفنُ فيه بذرتي وتنتظر، وأنا من ورائها أعضدها بالرعب، بالأحاجي ورائحةِ الكحول.

أضربُ روحَ الخشب الساهرِ معي، وأنفخ كومةَ التراب:
أنتِ أيتها المعافاةُ، وجدانُك يتقلّبُ بين موسيقى ودموع، وقريباً ستأتين لي بعظاءةِ الذهبِ وتقولين: لكمْ تشبهك هذه البنتَ.

سأسميها ميديا وتسمينها وجدان، وستحتفلين بدمعٍ وموسيقى، وأنا من ورائك أسندك بالرعب، بترابٍ جديدٍ وبذرة جديدة، طارقاً بمفاتيحي روحَ الخشبِ النائم، مخبّئاً عنك الأحاجي ورائحةَ الكحول.

مكتبة الفكر الجديد

أرَق

العالمُ، على ما أرى و أسمعُ، لهاثُ طينتينِ ترتعدانِ في سريرٍ، إنما هو أيضاً طفلةٌ تتعرّى لتثبتَ فسادَ الهندسةِ، وقد يقالُ أنه نبيذٌ قديمٌ في جرارٍ قديمةٍ يحرسه جنودٌ قدماء، غير اني في هذا العالم، على ما أرى و أسمع، بذرةٌ تتثاءب في أرض حرامٍ، عينٌ من الأنقاض تتنفّسُ السماءَ الخفيضةَ، وإلا لمَ أعجنُ ترابَ أسمائي بماء أعدائي كأني أهدهدُ طينةَ النائمينَ، و كيف من هذه الوردةِ الثقيلة التي تزلزل الضحى أشمُّ رائحة ذئابٍ تتلمضُ من الأرق؟

لكني إذا كنتُ للملاك النائم في صدري قلت: لا تنمْ كملاكٍ، فماذا سأقول إذاً للمنجّم يقودني من لساني؟

أأقول: أنا في عين ذئبٍ صدئةٍ هي الأرقُ، بل هي الأرقُ يتهجّاني ويصل إليَّ، أمْ أقولُ: أنا تحت شمسٍ داكنةٍ أستجدي

مكتبة الفكر الجديد

راحةَ يدٍ لأستجدي بها راحةَ يدي كمنْ يطارد غراباً نائماً في أحلامه ويصحو، وإذا كنتُ للأرض التي تتحطّم قلتُ: لا تتحطمي كأرضٍ، فماذا سأقولُ للسماواتِ التي تتثاءبُ في كتاب؟

مكتبة الفكر الجديد

أوبرا لوبير

غداً. الذهبُ الوحيدُ ينعسُ في دوارقه،

والبيارقُ هي البيارقُ، لولا أنها منكّسةٌ على

بلادٍ مصكوكةٍ من معدنٍ أليم.

غداً، البيتُ، أرملَ، يتقلّبُ على أسرّةِ ساكنيه،

والأملُ الذي كَسَرَ زجاجَ النافذةِ ودخلَ، لم يكن

(كانَ، سيكون) صورةً على جدارٍ،

أباً

مكتبة الفكر الجديد

ساعةً رمليةً فيها من الوقتُ ما فيها من الرمل.

غير اني

غداً، الحمائمُ الطينيّةُ أجفّفها على السطح

أحرسُ قوّةَ الظلامِ فيها

و أكتبُ لثغةَ شابٍّ يشبُّ على حائط البيت

أصوّره على ورق زائف،

أصوّر نعاسه والتقاءَ حاجبيهِ

ثم أتلفُ صورتَه بالقُبل.

و غداً، أقولُ لأبناءِ الشمسِ: ادرأوا عني أمكم الشمسَ،

مكتبة الفكر الجديد

أو أوقفوا كماناتكم اللاتي يرقّصنَ قلبي،

أو اكتموني سرّاً لديكم وأشيعوا جسدي

ففي كلِّ شيءٍ سرٌّ:

في البريد الأسودِ لعينَيْ غلامِ صخّابٍ،

في انتصابِ شمعته التي لم تختنْ

و في رغبةِ الحيوانِ يحرثُ منحناه الأبيضَ

سرٌّ نتداوله ككنزٍ وحيد نحمله من قارب الى قارب،

لنبلغَ به قرارةَ العالم، ليكونَ

(كان – لم يكنْ) هو ومعناه حفنةً تضيءُ يدَ الفقير.

مكتبة الفكر الجديد

اما الهواءُ المتغضّنُ، عتّالُ الأرحام

فهو شكيمةُ أنثى أوشكتْ،

بلْ قطعانٌ من الأبدِ ساقتْها اليك رصاصةٌ طائشة،

والا فماذا أسمّي نكبةَ موسيقيينَ صغارٍ يصطرخونَ

وبئرُهم معطّلةٌ وقصرُهم مَشيدٌ، سوى أن أقول:

أميرُهم يرفعُ قناعه عالياً ليرى صورته في سواد البيانو،

أو يسمعُ في نفير الأبواق لهاثَ حدائقهِ، موزوناً، يصطكُّ في نحاسٍ قديم.

(لكنه الظلام)

مكتبة الفكر الجديد

قال جنديٌّ فسالَ على كتفيه شمعدانٌ خجولٌ

وصفّقَ في صدره غسقٌ أخضرُ.

لكنه مع ذلك ظلامٌ واثنا عشر فقيهاً يحملونَ اليك المساء بسلالِ العدمِ

ظلامٌ، وريحُ الجنوبِ قرّبتْ الثريّا الى ركبتيكَ

ظلامٌ، وحطّ غرابٌ أشيبُ على البلاط

مشى

وتعثّرَ بالكمنجات:

- دو: رفيفُ غزالٍ على موردِ الماء

- فا: قبضةُ نارٍ أشعلها أعمى وأطفأها.

مكتبة الفكر الجديد

ويكون لى بعد ذلك أن أزَنَ شحوب أعماقي برائحة السماء، لتصيرَ لي سلّماً هذه الوجوهُ أو قارباً هذا العطرُ، فما أنا إلّا الطفلةُ، بجرحٍ مفتوحٍ إلى الصيف تتعرّى وفضّةٌ تتعرّق في حلمتيها، ويكونُ لي القليلُ مما ترك المنشدون:

ذهبٌ وحيدٌ يهرطقُ في دوارقه

والبيارقُ هي البيارقُ لولا انها مرفرفةٌ على شابَ نصرانيٌ إسمه لوبير

ساحقُ العناقيدِ التي

أترعتْ الكؤوسَ التي

أراقها أميرٌ حزينٌ على الأقنعةِ التي

رقّقتْ رعبَ الوجوهِ التي

مكتبة الفكر الجديد

قلّبَها الصيفُ على مجامرهِ كعناقيدَ

يسحقها شابٌّ نصرانيٌّ اسمُه لوبير.

غداً أواريهِ في مربّعِ الضبابِ الذي يؤطّر قلبي

غداً أغويه وأستدرجُه الى منابتِ اليأس وأصلِ أصولِ الأنينِ

غداً أنا وإيّاه مريمانِ في جوقةِ الإنشادِ:

– مِي: قنديلٌ يتكلّم بلسانِ القتيلِ

– ري: زهرةٌ مأتميةٌ في فمِ القاتل

وكان (يكون) لي الأملُ

مكتبة الفكر الجديد

يكسرُ زجاجَ النافذةِ

ويدخل.

أينِ هو الحيَّ ؟

أين الواهبُ عينيه الى دمعتي الكبيرةِ؟

أين الخافقُ لأجلي مع كلِّ ريحِ

والساهرُ معي في طيّةِ قنديلي الفقيرِ؟

أينه، واحداً وخفيفاً وليس له حملٌ سوى

خوذةٍ مثقوبةٍ ويدٍ تضمّدُ الخوذةَ،

مكتبة الفكر الجديد

أينَ هو الأملُ ؟

ضربةُ الناي الدليلِ

على عينينِ ضالّتينِ:

فا مي ري: نبيذٌ قديمٌ

في جرارٍ قديمةٍ

يحرسه جنودٌ قدماء.

كلّ بابلَ تتخاطرُ ومعها زقٌّ من هذا النبيذِ

كلّ بغدادَ أخٌ شدَّ نطاقَه وطافَ علينا بأكوابِ العطبِ:

مكتبة الفكر الجديد

نخبكَ،

نخبَ تيجانٍ مكدّسةٍ في ساحةِ العرضات،

نخبَ يمامةٍ حفظتْ لي أصابعي حتى حان بلوغي،

نخبَ احتلامكَ في موضعِ السلاح

في خنادقَ تلتفُّ كخرائطِ البروج:

في برجِ العذراء قذيفةٌ أخطأتْنا جميعاً.

في برجِ الميزانِ قذيفةٌ أخرى صحّحتْ الخطأ.

نخبَ شيطانٍ يلاعبُ الحرسَ وراءَ المستودعات،

نخبَ يعاقبةٍ يرفعونَ القصعةَ:

مكتبة الفكر الجديد

(أباتنا تقبّلْ هذا القربان)،
نخبَ نساطرةٍ راحوا يتشمسونَ في حجاباتٍ سامّة

وعادوا باللسانِ القديم،
نخبَ لوبير

يرفعُ عصاه النحيلةَ ويحرّضُ روحَ الكمنجةِ:
- سي: همهمةُ جيوشٍ صغيرةٍ تتقدّمُ في الدمِ.

- صول: عصفورُ ماءٍ أطلقتْه عينٌ زرقاء.
بلا هوادةٍ حاربتُ عنك

بلا هوادة جادلتُ عن تعاويذك وأسمالك
عن فمِكَ المدعوكِ بالمغيب،

عن الزغبِ الطالعِ على شفةِ النبيذ،
عن براثنك النظيفةِ منغرسةً في أعماق الناس

مكتبة الفكر الجديد

في هذا الوحلِ الذي يتنفّسُ على حسابِ الكائنات.
بلا هوادةٍ انحنيتُ وكان رأسي مثقلاً بالضبابِ

كما لو زهرةٌ تسقطُ في مأتم،
وكانت أشباهٌ مريضةٌ ومقدسةٌ تنهمرُ عليَّ،

وفيَّ ما لا أطيقُ منهم،
فوجهٌ مؤلمٌ يقول:

مَنْ هذا الجميل الذي يريد أن ينفيني من بغداد؟
وآخرُ يزعقُ: سأشكوكَ لنجمةِ الصباحِ،

الى أن تذكرتُ رائحتك، لوبير،
رائحةَ خَنَثٍ ورديٍّ في طيّةِ القميصِ،

وبلا هوادةٍ اقترعنا جميعاً على ثيابكَ
وكان نصيبي الصليب الذي يؤنسُ عقاربَ صدرك،

مكتبة الفكر الجديد

ثم أفرطتُ في التقرّسِ بأنقاضكَ

فلذا أنا أنتَ لولا رهبانيةٌ فيكَ وبردٌ في لساني.

والآن

اقتربْ مني قبل أن تأتي عظاءةٌ تشحذُ أسنانَها بوجدانك

سأقتربُ منك قبل أن يستفيقَ حجرٌ على حجرٍ ويرتجفُ الجدار،

التصقْ بي قبل أن يولدَ ذئبٌ من هذه الموسيقى ويزعقُ في الوجوه،

سألتصقُ بك قبل أن نرفعَ الأقنعةَ
فيصفقُ الهالكونَ لحفيفِ أسمالِ الهالكينَ،
قبل أن ننحني

مكتبة الفكر الجديد

قبل أن تملأ العناكبُ أرواحنا

ولتكنْ مضمرةً هذه الرعشةُ

لتكنَ دابّةَ الوحي

أوبرا لوبير،

وحدانيةَ الينبوع،

بطيئةً ومنقوعةً بسمومِ الخطأِ والصواب.

١٩٩٦

مكتبة الفكر الجديد

مشافهة

أنتِ جيشٌ أبيضُ يستولي على الهضابِ
بيتٌ تتدلّى فيه مزاميرُ صيفٍ قادمٍ

وفي حفيفِ بنطالكِ أرواحُ طواويسَ مجنونةٍ
تتكاثرُ بلا سبب.

أنتِ وقد أصبحتِ فمَ الكاتدرائيةِ
أداروكِ في خوابي النبيذ نبيذاً

وكلٌ من تماسكَ وشربَ
أراقَ على كبدهِ الليلَ و النهارَ

و تنبأ بكِ:

فراشةٌ في ناقوسٍ

مكتبة الفكر الجديد

ستجفلُ عمّا قريبٍ
ويجفلُ معها في قلبي

طفلٌ محموم.
محمومٌ و نقيٌّ

كمثلِ طفلٍ أبكمَ ينزفُ في كلامِ السرير
كمثلِ طاحونةٍ تسهرُ بعنفٍ على عاشقينِ:

هو:
أختُ تتزركشُ برائحة مسيحٍ
يتفتّتُ على دمشقَ.

هي:
أخٌ يتعرّى تحت الضوء،
ينفخُ فكرةَ الشمعةِ ويستبقينا في الأنقاض.

مكتبة الفكر الجديد

محمومٌ نقيٌّ، لكنْ
هذا الذي ينعسُ الآن في سريري

هل يعودُ بعد قرونٍ ليرى وجهَه القديمَ
متغضناً من الألمِ

من كماناتِ انتحبتْ طويلاً في العشبِ الضالِّ
من صبيةِ بطائراتِ ورقيةٍ اشتطوا في الحارات؟

محمومٌ نقيٌّ
لكنْ بين عينيه تمثالٌ تكادُ الشمسُ تستنطقه:

من يسلّي فمَك إذاسكرتَ؟
ومن إذا نكبةُ الياسمينِ أطبقتْ شفتيهاعلىعينيكَ

سيحفر لك الهواءَ لتنامَ ؟

مكتبة الفكر الجديد

نمْ، حالماً بوجهك النقيّ

متغضناً من الحمّى

من شهوةٍ فقدتْ عقلَها

واستقرّتْ عليك.

شهوةَ بلاعقلٍ

غيمةٌ بلاعقلٍ انفرطتْ على حديقتينِ تلتهبانِ

مصباحٌ بلاعقلٍ رأى معجزته في خشبِ السرير

واللهاثُ بلاعقلٍ، بريدٌ مني إليّ

مكتبة الفكر الجديد

أنا

والفجرُ

والألمُ المعطَّرُ في ركبتيك

جيشٌ أبيضُ ينتحبُ على رايةٍ بيضاء.

مكتبة الفكر الجديد

جدَل

إلى شعلان شريف

سحقوا العناقيدَ
سكرتْ أقدامُهم

تاهوا
وظلَّ ركامُهم الممسوسُ

ظلّتْ عينهم الكبيرةُ تحرسُ المداخلَ،
ظلّت الى الآن صخرةٌ يخفقُ الرعبُ فيها
في جرحها المعكوسِ،

عذراءَ تتلفّتُ:
أقدر أن أثبت هذا النهارَ أو أنفيه،

مكتبة الفكر الجديد

لا بمعجزة
لا بينبوعٍ أخرسَ

بل قرآن خنثى أوشكتْ
أو قبر حبلى قوّضتْه الدموع

(كلّما طاف روحُ الحجر الساهر في حلم البنّائين
فتح الإسكندر عينه على خزائني

وأغمضها عليَّ)
أقدرُ أن ألِدَ ولا أتدنّسَ

كما لو اني ومعناي مريمانِ تهتزّانِ في فراغِ النخلة،
أقدرُ أن أتقدّمَ كطفلٍ مؤبّدٍ جريحٍ ومعافىً على صفحةِ الماء،

كالنُدبةِ في رداءِ الملاك... أتقدّم

مكتبة الفكر الجديد

بأسمالي النورانيّة يرتّقها الطاعونُ .. أتقدّم
وحيثُ أنا القنديلُ يتلعثمُ في طيّةِ الفردوسِ

حيثَ ترتعشُ القبضاتُ المُحْكَمَةُ على كتفي – كتفِ اليتيمِ
أبذرُ أصابعي في غيابهم المهيمنِ

وأنتظرُ الحصادَ.
(كلّما ابيضّتْ روحُ سقراطَ

تهدّمتْ سنابلُ الجدلِ

تحتَ جبيني).
وها أنا في الخاتمةِ

نارٌ عمياءُ تحرسُ أبوّتها من التلفِ

أو حجرٌ محرَّفٌ في لسانِ البنّائينَ،
أو

مكتبة الفكر الجديد

سقراطُ وهو يرفعُ كأسَ السمّ
كانتْ خزائنُ الإسكندرِ تنضجُ تحتَ ثيابه،

وكالمجنونِ
كالذبيحةِ على مورد الماء

انبعثتْ منه رائحةُ الجدل.
لهبٌ

موزونٌ
تدافعَ

في
عنقودِ

عنبٍ:
سقطتْ

مكتبة الفكر الجديد

قطرةُ

خمرٍ

في

دمي.

كنتُ البئرَ عطّلتــْها ملائكةُ العطشِ
صرتُ غلبةَ أبواق ساهرةً باتنظارِ الريح

وبلا أللَهِ جادلتُ عن هذه المومياءِ
عن أسمالنا النوراتيّةِ لوَحتــْها شموسُ الأبد،

عن أقفاصنا الدفينةِ
مستسلمةً لرائحةِ نسورٍ

تتساقطُ في الآفاق.
كنتُ لا البيت

مكتبة الفكر الجديد

لا القفلَ في بابِ البيت
بل الأبَ مضرجّاً بأحابيلهِ يهبطُ السلالمَ:

اصعدي، شيخوخةُ، وتوّسلي بالساعات،
اهبطي، متاهةُ، ودلّي على نفسك التائهينَ،

اصعدي بمُضغةِ المنفى تحتَ لسانك الثقيلِ،
واهبطي بالفخاخِ متأتأةً.

يا لبلاغةِ الأضرحة.
قبرُ سقراطَ في الينبوع المسموم

كأسٌ يغترف منها المجادلونَ.
وحيثُ البلادُ العميقةُ كارتعاشةِ القوس أنـــتْ،

سهمٌ مسدّدٌ إليَّ من الأمسِ لا يخطئُ ولا يصيب.
لنكنْ في الخاتمة

مكتبة الفكر الجديد

لنكن البرجَ مائلاً الى ذكراه،
حبّةَ الحنطةِ في مداولات الرهبان،

أو النارَ اللعوبَ في طيّةِ الفردوس،
لنكنْ أيَّ شيءٍ

سوى هذا الجدل:
كلّما البحرُ

كلّما غريقٌ
يومضُ

وينطفئُ
في غيابِ السُفن.

مكتبة الفكر الجديد

فكُّ المربوط

بين الأقتعةِ والأقفال كم من حكمةٍ مطليةٍ بالقارِ ورملٍ يخـــالطُ القرآنَ؟

بين الاقتعةِ والأقفالِ كم من عذراء تائهةٍ في حقول السوسن، والهواءُ، بضميره المستتر، يلقّنها الجادةَ والقنديل؟

كم الأنثى الكسيرةُ تلملمُ بقايا الأرباب في كيسٍ أسودَ وتخـــرج إلى عرسها مدهونةً برائحة الجُماع، بدورةِ البدرِ البـــاردِ فـــي طيّاتها الحارة:

أنثى ملفّقةٌ من حبةِ مسكٍ مدافةٍ بكربلاء سحيقةٍ ملفوفةٍ بخرقةٍ خضراءَ نفخَ عليها ألفُ فمٍ أدردَ ودسّـــتْها يـــدٌ بيـــضاءُ فـــي سريري، بين الأقتعةِ والأقفال.

مكتبة الفكر الجديد

لماذا الأقنعة؟

لتلتبسَ عليّ الوجوهُ فلا أعرفُ هل أنا من يطرقُ عليَّ البـــابَ يائساً ليدخل، أم أنا من يتجمهرُ في آخرِ الغرفة خائفاً كأنـــه لا أحد.

والأقفال؟

لعلّها إشارةٌ الى استحالةِ أن يلجَ شيءٌ مني في شـــيءٍ منهـــا مادمنا، أنا وإياها، نتقاذفُ بالتمائم، بالزايرجةِ والأوفاق، بعظامِ الهدهد وبذيلِ الشيطانِ مرسوماً في كسرةِ خبزٍ علـــى مائـــدةِ الزفاف.

مكتبة الفكر الجديد

تيه

وحدهم التائهون يدلّوننا
أولئك الذين أضاعوا الدليلَ سيأخذونَ بأيدينا ويهدوننا إلى ما لا نطيق،

وكم ودَدْنا، نحنُ الذين نعرف جيداً أين نحن، أنْ ندركَ أين هم،
ودَدنا أن نكون معهم ومثلهم فلا نعودُ نعرف اسماً ولا رسماً لما نحن فيه،

في الليلِ لا يلتمع سراجٌ ينيرُ لهم طُرقَ المتاهةِ، والنجمُ في سمتِ السماء فخّهم المضيءُ،

مكتبة الفكر الجديد

رغبنا دوماً أن نكونَ منهم فلا يطّلعَ علينا أحد، لكنْ هيهات، رغبتُنا ذاتُها حاضرةٌ ومقيمةٌ وبلا أدنى غيابٍ لأنها تعرف طريقها جيداً وتخلق حتى في عشقنا للتيه جمهرةَ مشاهدينَ مقيمينَ يطلّون علينا من هناك، من الحضور الأكيد، ليرونا ونحن نتخبّط تائهينَ في ما لا نعرفُ وبلا أملٍ ....

لا

ليس هذا هو التيهُ

نحن أسرى أنانيةٍ حمقاء حين نطلب تيهاً مليئاً بالطمأنينةِ كهذا لنعترفْ

لقد كبرنا، أدركتْنا شيخوخةٌ مبكّرةٌ فلم يعدْ بمقدورنا أن نتيهَ.

في الفردوس، كما في الربع الخالي، ثمّةَ كثيرٌ من التائهين، واحدٌ منهم فقطْ حطّمَ تيهه بيديهِ حينَ استدلَّ على شجرةِ المعرفةِ

مكتبة الفكر الجديد

وجاءَ بنا إلى هنا...
آدمُ، ابقَ في تيهك الفردوسيِّ الكبير وأنجُ بنا،

ماذا صنعتَ يا أبي؟
أنظرْ الى فَقر أبنائك، إنهم يلفّقونَ متاهاتٍ صغيرةً ليضيعوا.

(أتيه فلا أدري من التيه منْ أنا
سوى ما يقول الناسُ عني وعن جنسي

أتيه على جنِّ البلاد وإنسها
فإن لم أجدْ شخصاً أتيه على نفسي)

باللخذلان، صرنا نعرفُ الطرقَ كلَّها.

أمسِ راودني الكابوسُ ذاتُه:

رأيتُ أني في وسط غابةٍ ممتدّة الى ما لا يُحدُّ، حاولتُ أن أتيهَ وما استطعتُ،

عقلد موجعة
مكتبة الفكر الجديد

كنت أغيبُ في العمق، في اللجّة الكثيفةِ، لكنهم دائماً يستدلّون عليَّ بسهولةِ أو أقعُ أنا عليهم دون تدبّرِ مني.

أخيراً

ابتساماتُهم الكابوسيةُ الماكرةُ أقنعتْني اني فقدتُ تلك القدرةَ المدهشةَ التي تجعلني أتوارى وأغيبُ ويسمّوننني تائهاً،

تلك الغريزةَ الربانيّةَ ودَعتُها إلى الأبد.

استيقظتُ مغموماً وتذكرتُ كيف كنتُ في جنّةِ الطفولة أسرعَ التائهينَ،

كم ضعتُ بسببِ عباءتينِ أحداهما لأمّي، والأخرى لإمرأةٍ تسحبني للفردوس في سوقِ مكتظةٍ بعباءاتٍ سودٍ،

مكتبة الفكر الجديد

على عتبةِ البيتِ كنتُ أتيهُ،

وأنا أتطلّع لشِقٍّ جدارٍ كنتُ أغيبُ وينادونني فلا أسمع،

بين النخلة وسطَ البيتِ والسلّمِ كنتُ لا أعرف أين

لوحدي أو مع الآخرين، لا شيءَ كان بمقدورهِ أن يهديني.

أمّا الآن

فالعالمُ كلُّه يشيرُ لي بيديهِ

إلا أنتم.

أين أياديكم الكريمةُ الغائبةُ لتأخذَني معكم أيها التائهون؟

مكتبة الفكر الجديد

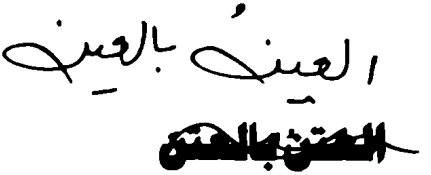

الى بن لادن وبوش معاً

بهمسٍ أنشبُ أظفاري في وجهكَ

بهمسٍ تنشبُ أظفاركَ في وجهي

الأصابعُ العبوسُ في يدِ الحكمةِ ابتلّتْ بسوادِ عينينِ مفقوءتينِ

وتذابحنا بهمسٍ

لئلا نوقظَ العالمَ.

سبتمبر العار

١٩١

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

قارئ كفٍ

خذْ طائراً من عنقي وقدني إلى أسمالكَ

إلى يديكَ المدهونتينِ بأنقاضِ الجهاتِ الأربعِ،

وأحملْني في قلبك الذي يرقّقه الرعبُ

أسودَ على أبيضَ

غراباً على الثلجِ

أو ساعةً في يدِ مجنون .

خذْ الريحَ العميقةَ التي لامستْ كتفيَّ،

مكتبة الفكر الجديد

خذْ وحدانيةَ الينبوعِ في لساني المتلألئِ،

وسرْ بي إلى هواءٍ أعمى

يفتحُ عينيهِ على بغداد .

ضعْ على شرشف أرقي

تضاريسَ جراحِكَ التي – من أزلٍ – تحفرُ

في نومها تمثالاً لمسافرينِ

وحقيبةً ليستْ لأحدٍ.

مكتبة الفكر الجديد

وإذا أخذتَ خطوطَ يدي اليسرى

وقرأتَ في عويلها منننتي تنبلُ وأهواري تجفُ

وقرأتَ الأبَ يقطعُ صلاته ليشيّع أبنه

أو الأبنَ يحثو الترابَ على صلاة أبيهِ

فاعلمْ أنك بوقٌ مدنّسٌ في فمِ المعنى

وأنا دليلُك إلى العدم .
وقلْ عني بعد ذلك ما شئتَ:

أنا الأيقونة تتحلّ فيها الظلمةُ إلى شموسها العمياءِ

أنا السماءُ الخفيضةُ تمسحُ بالرعدِ السامّ رؤوسَ المنهزمينَ
والجيشُ، بمخالبَ بيضاءَ، يحتضنُ الفراغَ

مكتبة الفكر الجديد

ويقولُ له: يا اخي.

ثمّ قلْ عنك أنك حديقةٌ مكذوبةٌ تتفرّس بالصحراء.

مصباح مثقوبٌ في أعلى السرير

حيثُ المعجزةُ عناقُ مخمورينِ في فجرٍ يصحو.

وسأسمعُكَ

شاسعاً ومندثراً سأنصتُ لحفيفِ أسمالك

توقظك آلهةٌ خضراءَ حيرى في أقفاصها

أترقّبُ التماعةَ عينيكَ

توزّعُ أطفالها البكّائينَ على

مكتبة الفكر الجديد

مدارسَ مغسولةٍ باللهبِ.
وأريك – ولو من بعيدٍ – أماً طفلةً

في أولِ البلوغِ تتعرّى

ونهدُها، مثل ياقوتةٍ لم تختنْ بعدُ

يذوبُ في ماء القبلات.

أريك – ولو من بعيدٍ – كيف يُدارُ الربيعُ

بملاعقَ من فضّةٍ في فمِ أحمدَ

مكتبة الفكر الجديد

وكيف البيتُ، كالبيتِ، يكشفُ عن جرحهِ المهيمنِ،

والهواءُ يضمّدُه بالهواء.
هذه القصيدةُ مكتوبةٌ لي وحدي

كما يكتبُ صيادٌ توبتَه على جلدِ غزالٍ.

صباحاً، عثرتُ على درهمٍ طينيٍّ جففتْه أجنحةُ الحمائمِ،

ظهراً، آثارُ مخالبَ على زجاجِ المقهى،

مساءً، في استكان الشايِ رائحةُ بغداد

رائحةُ هاربٍ من الخدمةِ العسكرية.
بقليلٍ من التحريفِ أرتّبُ أوثانك الحرّةَ

مكتبة الفكر الجديد

وأخاطبُك كمهرّجٍ قديس:

أنا – أو مَنْ هو في حُكمي – عذراءُ

تغسلُ شرشفَها بدمٍ أبيضَ

شابٌّ هزيلٌ يعبرُ الحدودَ

ويلتفتُ

فلا يجدُ سوى هاويةٍ تتنفّسُ فيها الأمهاتُ.

أنا – بقليلٍ من التحريفِ – دميةٌ تتلوّى

في كهفٍ،

عكازةٌ تجرجرُ طفلاً إلى معناه

مكتبة الفكر الجديد

وموزونٌ عدمي، عدمي موزونٌ

وفيَّ، في مربعِ الضبابِ الذي يؤطّر قلبي،

ثمة الرعدُ موزوناً يصفّقُ لجسورِ

تنقّضُ في لهاثٍ موزونٍ.

وثمة أنا – أو مَنْ هو في حكمي – ريفٌ نائمٌ يعبرُ المدينةَ:

وطأتُنا أيامنا الأجنبيّةَ بأحذيةِ آبائنا

شمّمْنا في سوق السراي كتباً ممحوّةً

وعرفنا أننا مندثرون.

٢٠٠

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

صباحاً، سيدوري تعضدُ عتادَ رعبِكَ أيها المُطْمَئِنُ

ظهراً، أنكيدو يحرسُ قيلولةَ الندمِ في ظهيرتك أيها المحاربُ

مساءً، كلكامش يخصّبُ طاعونَكَ أيها المعافى.

هذه القصيدةُ مكتوبةٌ لكَ وحدَك.

وغداً تأخذك رعدةٌ في برجِ الميزان

أمامَ دكاكينَ منهوبةٍ

أمامَ بائعٍ متجولٍ

مكتبة الفكر الجديد

تتكسّرُ على ركبتيكَ عصيُّ الألوانِ

فتختلفُ عليك الجموعُ

العبدُ بسلاسلهِ

والملائكةُ بصهيلها المرّ،
غداً

تعودُ إلى سيرتك الأولى

أسودَ على أبيضَ،

غراباً على الثلجِ
أو ساعةً في يدِ مجنون.

١٩٩٥

مكتبة الفكر الجديد

جنّة عدم

إنْ تكنْ جيوشٌ تكن الموازينُ مترفةً ومنسيةً كحـــدائقَ أنضجها القحطُ على مَهلِ ،

والحكمةُ – هــذه الكنــوزُ الســوداءُ فـــي فمِ الذئب – تلجئكَ إلى قرينٍ حيٍّ يرفعُ حديدَه الصدئَ عالياً

تحيّة للعدم.

إن تكن الحربُ

تكن بغدادُ تنقّر جثّةَ بابل، أو بالعكس

زقورةٌ تتهدّم في كتاب "أبي مخنف"،

مكتبة الفكر الجديد

فردوسٌ كالطعناتِ المرحة في أحشاءِ النائمِ
عادلاً يضحكُ على العراق،

عادلاً يضحكُ على صبيانٍ ممتحنينَ بشرطيّ سكران:
أختامُه المزوّرةُ في معطفه،

ويداه مغلولتانِ على دراهمَ مسكوكةٍ من لهاثِ وزمهريرِ.
ويا للنياشينِ المشعّة على صدرهِ المنكوب،

يا لقبّعة الريشِ، مثقوبةً تتدارك الصاعقةَ برأسٍ مبتور،
يا لأنواط شجاعته تتدلّى كمفاتيح الصيرفيّ،

كالذبائحِ التي تقلّبها الشمسُ:
نعم نعم ولا لا

ويا للركلةِ المطبوعةِ على وجهه - وجه الملاك -
يا للطائرات الكسولةِ ترمي نردَها في الصحراء

مكتبة الفكر الجديد

فتأكلنا النعمةُ ونتعافى.
تأكلنا النعمةُ لأنّ وجوهنا تتفسّخ من طعنةِ الفزع التي تشفي،

ونتعافى لأن أحشاءنا أُترعتْ بسموم "المارينز"،
تأكلنا النعمةُ ونتعافى لأنّ كلباً أجربَ حكّ جلدَه بأعمارنا واختفى.
إن تكنْ الحربُ يكنْ أخونا البابليُّ قاعداً في الظلّ يحلّ الضمادات عن قلبهِ، ويلهو بطنين الذبابِ، بالقيامات المدفونة هنا وهناك، بالأبدية المرتجلَة، بشكيمة الأنثى تغسلُ ثيابَ غوغاءٍ يسهرون على أكياسِ الطحين.

إن تكنْ الحقيقةُ مترَعةً بالدماء الثلاثة – دماء الحيض والاستحاضة والنفاس – يكنْ اليقينُ بارداً كالنار المرسومة في بيت النساء، كالفقير الباكي على نجمة الصباح، كالأصنام الصغيرة في لفظة الله، أو كالذي يقال له: من أنت؟ فترتجف يداه من الحمّى.

وأنتَ

مكتبة الفكر الجديد

أخي أيها المنتصبُ على الفردوسِ بفداحة الفجر التالف وصريرِ الأسنان،
يا من يمزّق دفاتر الإخباريين بحثاً عن كُنية تليقُ ببياض أكتافه،

شمسُ ماءٍ تفجّرتْ في ثيابك؟

أمْ هي الحربُ، وأعداؤك أطفالٌ يقايضونك بزئير الذهب، بالنبوءات الرخيمة كقواربَ مربوطةٍ إلى أكوام الكتب؟

أعداؤك - أخوتك طهاةُ الأيام يلتمسون الأبوابَ إلى قلاقلَ يائسةٍ تنهش الأنثى التي فيك، الأنثى التي ترتجّ في أحشائك، الأنثى التي هي أنتَ لولا براهينها وشكّك، لولا القرائنُ التامّة للغيب المدوَّن بالركلات.
ألهذا
_ أخي أيها المشرف على أقنعة الغد وخرائبه _

مكتبة الفكر الجديد

تقفز من عاصفة لاتعرفك إلى عاصفةٍ لا تعرفها؟
ألهذا تحلّ الضمادات عن قلبك،

ومعك الربيعُ الأخرسُ يربّتُ بيدين سوداوين على حديدك الذي لن ينجوَ منه أحد؟

ألهذا بغدادُك تتقَر جثةَ بابلك

أو.....بالعكس

بابلك مقفلة

ومفتاحها في فمك.

١٩٩١

مكتبة الفكر الجديد

ساحة الأندلس

إنني أتناقضُ
برهاتي يقودني إلى العطب

بالأمسِ
حين رفعتُ الغطاءَ عن تابوتِ أخي

رأيتُ الابديةَ: رزمةَ أوراقٍ نقديّةٍ على وجهٍ محترق.
- هل رأيتَ الابديّة؟

- رأيتُ قارباً مكنوباً عليه في العاصفة
رأيتُ ناراً منسيّة تتأجّجُ على حافّة الفجرِ

- هل رأيتَ الأبَ ومعناه يتقاتلان في صلاةٍ لم تكنْ لأحد؟
- هل رأيتَ الأمَّ

مكتبة الفكر الجديد

عباءةً تردحُ منذ الفجرِ على دمِ أشقرَ يتصببُ على العتبة؟
هل رأيتَني حارساً على صناديق الأسلحة ولا أدري لماذا؟

هل رأيتَ كوثرَ

تسفحُ عقائدها على ماكنة الخياطة
وتتبعثر لتشدَّ حجابها؟

هل رأيتَ عبد الرحيم
ينبوعاً أسودَ يترقرقُ في قرآن أبيضَ؟

هذا هو برهاننا الذي قادنا إلى العطب
هذه غيبتُنا الكبرى التي اختلفنا على تأويل عظامها.

هذه هي الأبديّة:
نتكدّس في رقعةٍ خرساءَ ونتحدثُ عن القيامة،

مكتبة الفكر الجديد

عن حدائقَ مضبّبةٍ تشقّ طريقها في زينة المآتم،
عن الفم الذي يتشرّد ليقول:

أنا.
أنا السهمُ المثلّثُ الذي أخطأنا جميعاً واستقرَّ في أحشائكَ

أنا الخاتمُ الذي انفرطَ من خنصرك الهزيلِ
أنا شمعدانٌ يجادل عن قوّة الظلام فيكَ،

في ثقوبكَ الكثيرة،
ولا أحد، تحت هذا الكوكب المترنّح، سيسمّيكَ

عارياً ومحتجباً، كأنْ جوقةُ مجاتينَ ينتحبون في ثيابك المسلوبةِ،
كأنما نكهةُ الفجرِ استوقفتك

وألقتْ في يديك المأكولتينِ دراهمها المصكوكةَ من لهاثٍ وزمهريرِ،

مكتبة الفكر الجديد

فلتصمتْ إذاً،
ولتفتحْ أبوابَك الصـــخّابةُ نـــفيرَها في الظلّ،

حيث الرياحُ الباطلةُ تقلّب الوجوهَ الباطلةَ
مثل قنديلٍ باطلٍ يضيءُ وجدانَ الأعمى،

أو

مثل شهوةٍ نظفر بها في كتابٍ ممزّق
ونقشعرّ لها أبدَ الآبدين.

غير انك الأسمُ ونقيضُه الذي يبشّر بالجسد النظيفِ المقموع
أنت المعجزةُ وتدابيرُ المعجزة:

فمٌ محشوّ بأوراق نقدية.
أنت القفلُ في باب أبي يحرّف معناي:

مكتبة الفكر الجديد

حين كان الشمرُ بن ذي الجوشن
باســـطاً يديه مـــن الكوى، يصفّق للتوّابينَ،

كان أبي منشغلاً بيديه
كيف تتناوبانِ الضحكَ والبكاءَ على بابلَ وأسباطٍ يتفسّخونَ في الكُتب.

وباسمي
باسم طبائعَ شاقّةٍ

تراجعتْ حكمتي،
وانتهيتُ الى برهانِ مريضٍ وبلاغةٍ تتقشّر،

وها أنا أتناقضُ
ها أنا أتقدّم اليكم مثل قاربٍ مكذوب عليه في العاصفة

ها هو لساني يجرجرُ وساوسه:

مكتبة الفكر الجديد

العشائرْ شعثاءَ تتصارعُ على حبّة شـــعيرٍ، ما اسمُها؟
الغيبةُ الكبرى التي اختلفنا على تأويلِ عظامها، ما اسمها؟

وما اسمُ الحدائق التي من أجـــلِ خلاصـــي وخلاصـــكَ تتـــزيّنُ بالرُعب؟
ما اسمُ اليمامةِ التي تحفظ لي عينيَّ الى أن يحينَ بلوغي،

الى أن تطـــربني الأباطـــيلُ
وأُدفَنْ مع أســـمائي

فلا يطّلـــعَ عليَّ أحد؟
باسمي

باسم نظامٍ آخرَ للكونِ
باسم برقٍ فقيرٍ يذرذرُ مواعظَه على النائمينَ

مكتبة الفكر الجديد

حاولتُ أن أنقطعَ الى تأريخٍ نهائيٍّ يوجزُني
أن أستجمعَ حياتي كلَّها في مشهدٍ وحيدِ

حاولتُ ولم ألتقطْ غيرَ معنىً أليفٍ:
شرطيَ غامض يتثاءبُ في ساحة الأندلس.

هل أقولُ له: برهاتي قادني إليك؟
هل أسألُه: أهذه هي أوروكُ؟

أهذه هي البقرةُ التي ترعى جادّةَ السماءِ؟
أهذا هو القنديلُ الخاشعُ السكرانُ

الذي أتعشَ قلبَ سقراطَ وأنّتْ عليه أحشاءُ الإسكندر؟
أهذه هي الأبديّةُ:

حفنةُ أوراقٍ نقديّةٍ في فمٍ محترقٍ؟
لنبتهلْ

مكتبة الفكر الجديد

لنرفع الغطاءَ عن وجوهنا
ثم نلهث راكضين كلّاً الى صحرائه

كلاّ الى ينبوعهِ المتعفّن
لنبتهلْ

لكنْ لنحيّي أولاً هذه الكآبةَ – بهجتنا التي هيلتْ عظامنا للهزيمةْ،
– لنتذكرْ

– لننسَ
– لننسَ ولنتذكرْ

لنباركْ هذا الرأسَ المرفوعَ من الزنزانةِ
مطالباً بحريّة التناقض:

أنا أتناقضُ
برهاني قادني إلى العطب

مكتبة الفكر الجديد

وهذه القصيدةُ أيضاً تحملُ تناقضها في أحشائها
لأنها هي والعدمُ تُسقى من ماءٍ واحد.

١٩٩٥

* ساحة الأندلس ساحة معروفة في قلب بغداد، فيها مقر اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ومقر الأمن العام .

مكتبة الفكر الجديد

بابل مقلوبة

١

أضعُ بداهاتي قدّامكَ الى أن يسكنَ الرعدُ
الى أن ترفعَ البوقَ من فمكَ وتصرخ في الشعب:
أما قرأتم قطُ في الكتب؟
أما رأيتم الغريبَ مربوطاً بالذهبِ الى خيامِ آبائكم
فسلطتم عليه الكتبةَ ليرتعدَ؟
إكتنفتم يديه بجيوشٍ ومجانيقَ
صيرتم أكتافه مأكلاً للضبابِ
وكلما استيقظ من نومه وفركَ عينيه
رعاةٌ نوامونَ منكم أعادوا عليه النعاسَ

فالآنَ أقولُ لكم:

مكتبة الفكر الجديد

قبّلوا هذا الطفلَ النائم لئلا يغضب
قبلوه لئلا يحلَّ الظلامُ.

مكتبة الفكر الجديد

٢

وأكاد أتكلمُ لولا لساني
أكادُ في ظلّ أسيادكِ المقموعينَ أوثقكِ
وأسقيكِ من المنفى الذي أسقيتِني إياهُ
ياخاشعةُ
ياسكراتة
يابيتاً يطرده الأخ الأكبرُ بلا حقائبَ
يا بابلَ أوحيَ اليها أنْ تمخّضي وإلا نفضتكِ
تمخّضي لأنكِ الجيشُ المنهزمُ
بوق بعثركِ وطافَ بكِ في البلدانِ
شرطيٌ يشتكي العطشَ أماتكِ وأحياكِ
ثم أماتكِ وأحياكِ
ثم أماتكِ وأحياكِ الى أن حبلتِ وأنتِ العذراءُ
استيقظ أبناؤكِ وتاهوا
وتهشمتْ أسنانُهم من الضحك.

مكتبة الفكر الجديد

٣

ومالي لا أضحكُ؟

أضحكُ لهذه الصنائعِ الشاقّة:
أضحك لنافخِ البوق تحتَ خرائبِ بابلَ،
أضحكُ للغيم الأبيضِ يتوّجُ قلبَ ميديا بلا سبب،
أضحك لصبيةٍ لم يقلْ لهم أحدٌ أنهم شيعةٌ لكنهم تنبأوا بذلك،
أضحكُ لمعدان يحرثون أكتافَ نسائهم حزناً على ثأرٍ لم يبلغوه،
أضحكُ لمندائيينَ يخرجون من خيمة الإجتماعِ وعلى أيديهم دمٌ لا يعرفون لمَنْ،
أضحكُ لاكشاريةٍ يربطون خيولهم إلى رأسِ الملكِ كوديا،
أضحكُ لكلدان لم يجدوا ما يتصدقون به، ملأوا آبارهم خلاً وتفرّقوا في الأقطار،
أضحكُ لعشائرَ أوقفتها خطيئتُها في ظلِّ شرطيٍ يتثائبُ،
أضحكُ على ناصر الأشقر
على قلائده المصكوكة من أسنان العبيد،

مكتبة الفكر الجديد

أضحكُ
وأعرف أن شعباً أحدبَ سوف يتسلّلُ اليَّ
في هذه الساعةِ
ليشاركني البكاء.

مكتبة الفكر الجديد

الكروبيون

إلى جمال الساعاتي

أعمى يِغمسُ عصاه في الذهبِ ويِتألّمُ :

اعتقادي أن ربّكَ البهلوانَ يسدّدُ إصطرلاباتِه إلى وجداني

ويِخصّني باللطائفِ كلِّها:

حيواناتِ مسختْها الأقاويلُ،

ومصاحفَ تشتهي جوقةٌ ترتّلُها بحزنٍ على النائمينَ

صمت

٢٢٥

عقائد موجعة

مكتبة الفكر الجديد

اعتقادي أنّ العقلَ، مثل ثمرةٍ باردةٍ، يخوضُ فيك لئلا يصلَ إليكَ

وأنك مزجتَ سماعي بسماعِ العوامّ

فتشابهتْ عليك العقول .....

صمت

غير أنّ هؤلاء الملاحدةَ رُزِقوا من الرعب بحيثُ أنّ منهم من يصعدُ إلى غرفة أبيه ليرى طاعته وعصيانه تتناوبانِ الضحكَ على كومةِ عظامٍ تتلو وصيتها الأخيرةَ ثمّ يهبطُ مبللاً وكلّه عيونٌ تبكي بعد فواتِ الأوانِ على أخٍ يغمسُ عصاه في الذهب ويتألم وأختٍ وقفَ بها التمكينُ وراء ماكنة الخياطةِ ربيعاً ينقبضُ وينبسطُ تحت الأقنعة....

مكتبة الفكر الجديد

صمت

وإلا فاعتقادي أنك تطالعُ الجنديَّ الهاربَ يطمرُ أسلحتَه في أحشائه بالعينِ ذاتِها، عين الخنثى، التي تطالعُ بها عذراء تنعكس في المرآة أماً وترتدُّ عليك مزقاً...

صمت

لا

لا لأنك البركانُ الوقورُ يدفنُ وجهَه في ظلامِ العشبِ بانتظارِ أن يحبَّه أحدٌ،

ولا لأنّ وجهك شمعدانٌ مسروقٌ يترقرقُ تحت جبينِ النائم،

بل لأنّ فيك ما يُدركُ وما لا يُدرك

مكتبة الفكر الجديد

فمن جهةٍ :

حيواناتُك تتدافعُ في ممرٍّ ضيق مسختْها الأقاويلُ

مصاحفُك أُنزِلتْ بحزنٍ ولا أحدَ يقرأها بحزن،

ومن جهةٍ أخرى:

صمت

حتى متى اصطرلابُك مسدّدٌ إلى دمي؟

حتى متى فرجالك يقيسُ دورانَ الفراشة في محيطها الأسودِ

قارعةً بمخالبَ من عسلٍ وحمّى هذه الغنيمةَ المشعشعةَ،

مكتبة الفكر الجديد

زجاجةَ المصباحِ المكسورةَ

حتى متى يخلطني الفجرُ بنقوشه

والملائكةُ بأنينها العذبِ

صمت

نعم

هذه بئرُ العطش يتدافع عليها الكروبيون ولا أحد يشرب،

هذا فرجالك يقيسُ ضجّةَ العالم،

والعقلُ

مثل ثمرةٍ باردةٍ متروكة الى الفجر،

مكتبة الفكر الجديد

يلتمسُ له محنةً تعيدهُ الى ديمومتهِ،

العقلُ ....

صمت

قنديلٌ يدفنُ قوّته في قوّة الحائط

وينهدمانِ معاً

صمتَ أبدي

مكتبة الفكر الجديد

قتيلانِ يتحاوران

ــ هذه خرافةٌ، تنجيمٌ أو لعبٌ بالاوفاق

ــ لماذا؟

ــ لأنَ السفينةَ لاشيءَ إنْ لم تكنْ ريحُها منها..

ــ كذلك أنا في بيت المعنى عقيقٌ زائفٌ لولا أنْ صدّقتُ نفسي.

ــ ولكنها مع ذلك خرافةٌ، تنجيمٌ، محضُ استرسالٍ في التيه كمن يبسطُ يداً إصطناعيةً أمامَ قارئ كفٍّ،وإلا مَن أين لك أن ترى الكنزَ الوقورَ في ابتسامةِ الجنديّ الخائفِ، بل كيفَ لي أن أقيم الدليلَ على بلاغةِ حاجبيك وهما يعذّبان المكانَ..؟

ــ لا، .. ليس عندي هنا بين الانقاضِ سوى قوّتي، قوّة المنجّم يتخاطرُ تحت قوس زحلٍ رادّاً التحيّةَ على قتلاه.

ــ الليلةَ اقترانُ نجومِ العقيدِ بكوكبةِ ذاتِ النطاق

ــ لمثل هذه الليلةِ ادّخرتُ لُباناً ذَكَراً، زهرةَ دفلى حمراء وصناديقَ أسلحة.. وأنت، ماذا ادّخرتَ ليوم زفافك، يا من تدفن وجهكَ في أطلس البروج باتتظار أنْ تتذكرَ اسمَك؟

مكتبة الفكر الجديد

ـ .. ما اسمُكَ؟

ـ لا شيء. أريدُ أن أقبّلَ جرحك المفتوحَ للصيف.. وأنتَ ما اسمُكَ؟

ـ أريد أن أشكرَ الضبابَ الذي يرفو الثقوبَ في خوذةٍ تتقلّبُ على السفح ..

ـ لطّها خوذتك

ـ انها حقّاً خرافةٌ

(يقف الانسانُ مقطّعَ الأوصالِ في شفيرِ الفجر، على حافّة خندق في "ساتوبا"*، يقفُ ليملأ منخريه برائحة الدم، ثمّ وقبل أن يتهالكَ، تؤاتيه شفقةٌ مضحكةٌ، شفقةٌ تتلّخص بإنقاذ الانسانِ من شفقته)

ـ ما هذه الخرافة؟

ـ انها الاسمُ الريفيّ الذي أعطوه للموت

ـ بل هي الثلجُ المتقلّب في نعمةِ النار، ويحرقُ طالبيه.

ساتوبا: منطقة حدودية سقط فيها آلاف من الشبان العراقيين والايرانيين.

مكتبة الفكر الجديد

٨ شباط

كتبتُ الى الزعيمِ: رأسُ مَنْ أسمعه يُطحنُ بمطرقةٍ؟

وفي لياليَّ وأيامي أنينُ معدانٍ يتنازعونَ كأسَ السمِّ وراءَ القصب.

كتبتُ اليه:

أخي

إن البدوَ الذين وكلتَهم على منابعِ الفراتِ أثقلوها سمّاً

ان عمالك خلطوا بريدك ببريد العصاةِ

وان عقربينِ كبيرينِ تحتَ جلدك يلتهمانِ الليلَ والنهار.

مكتبة الفكر الجديد

ولما أنْ وصلَ بريدي، كان رأسُ الزعيمِ أخي يُطحنُ بمطرقةٍ،

وكانَ

جيشٌ جبانٌ وراءَ القصب يفتكُ بالمعدان.

مكتبة الفكر الجديد

آخرُ العرب

تحتَ شمسِ الشموس،

في قيظِ الحكمةِ ومجدِ العطشِ

لساني أرادَ أن يجلوَ صدأ قديماً تراكمَ على اسمِ العراق.

والعراقُ كلمةٌ لا أقولها.

يقولُها شابٌّ مندائيٌّ تناوبَ ماءانِ على شفتيهِ من الصرع.

يقولها كلدانيٌّ أشقرُ

مكتبة الفكر الجديد

ريشُ وسادتهِ من أجنحةِ ملاكٍ فقير.

كلمةٌ تليقُ بكرديّةٍ مسفوحةٍ في ظلامِ الكهف

وقنديلُها طاهر.

لكني إذْ قلتُها واتعقدَ طلسمُها في فمي

فلأني بالأعلاق الدمويّة ورثتُ هواءً كثيراً عنهم

وتنسمّتُ شميمَ صواعقهم المخلوطةِ بآهــةِ الآدمــيّ وعريــهِ الضاري.

ورثتُ غبطةً كوكبيةً في هشيم فخارهم

ورعباً

مكتبة الفكر الجديد

في ولائم الطينِ المتروكةِ هنا

تحت شمسِ الشموس.

وكان ذلك في القديمِ القديم

قبل أن يأتي أولُ الأعرابِ

قبل أن يحرقَ خيمته ويعقرَ حصانه،

حصانَه

المكرَّ

المفرَّ

مكتبة الفكر الجديد

المقبلَ

المدبرَ

في قيظِ الحكمةِ ومجدِ العطش.

مكتبة الفكر الجديد

أسدُ بابل

– ١ –

تهتَكْ

بالذي يمتشقُ سيفَ العذوبة الأسودِ ويزلزلُ المغيبَ،

تهتكْ

بالساهر يذرذرُ على النائمين أحزانه القويّةَ كالشمس،

تهتكْ

بأسدِ الرخام يوشكُ أن يتعافى،

تهتك

بالجيشِ يتداوله طائرانِ بكّاءان،

تهتك

مكتبة الفكر الجديد

بالحكومةِ وقعتْ عليها القرعةَ فسلكتْ بنا تصانيفها العاريةَ،

تهتكْ واكرعْ مع القطيعِ الذهبيّ من البُركةَ إيّاها،

تهتك وقلْ للقيامةَ:

مرحى

أنا غيرِ ذي ثقةٍ

وحسبي من الفردوس كلابُ الفردوس

حسبي من الدسائس نومةُ الأبِ في الظلِّ المكتوم

بعيداً

مع ملائكةٍ يتهتكون.

مكتبة الفكر الجديد

– ٢ –

سأدلّك على بابلَ

سأرشدُك إلى جحيمٍ لن تراه بعدُ في الكُتبِ

سأريك معتقداتِ اليأسِ ومذاهبَ الأنينِ

وأنا وإياك سوف نحتكمُ إلى حدائقَ تتأجّجُ في المنعطفِ القادمِ

حيثُ ملاكٌ مستأجرٌ يسهرُ على نكبتِه،

نكبةِ الماءِ اليتيمِ

يرفعُه شريكٌ ممسوسٌ إلى جنائنَ معلّقةٍ حوصرتْ

ويشفقُ عليها الرمادُ.

وهناك

مكتبة الفكر الجديد

على السريرِ الذي تفجّرتْ فيه أعينُ النحّاتين،

سأستلقي مديداً

وأحصي عليك جيوشَك التي – على صوابٍ –

تمعنُ في أخطائها.

و دونك الحجر،

دونك مساكبَ الحمّى،

دونك معاولَ النهارِ

توقظُ الخسارةَ في الظلال القويّة

لصرخةِ الأسد.

١٩٩٤

مكتبة الفكر الجديد

كربلاءُ الوقت

كلما استجمعتُ رعبَ قلبـــي وقلـــتُ بالحاضـــرِ الدافق أجلُـــوْهُ، بالينبوعِ الذي وُلدَ اللحظةَ معي، رأيتُ اني جئتُ من قبلُ أو من بعدُ وانْ لاوقتَ لي يصلحُ أنْ أسميه الآن.

فالآنَ فواتُ أوانٍ.

واذ تهيّأتُ وتعبّأتُ وقامتْ قيامتي ألقيَ في روعي أنـــي مـــن الأمسِ، من الديمومةِ التي غُسِلَتْ حتى صارتْ مِزَقاً.

من القديم أتيتُ، وفي القديمِ باشرتُ زمناً كنتُ أظنّه الآنَ فـــإذا هو منقلبُ الوقتِ ويأسُ الحاضرِ من نفسهِ، وعجـــزُه عـــن أنْ يكونَ.

مكتبة الفكر الجديد

أنا في فواتِ الأوانِ

أو لأقلْ أنا في بُهتانِ الأبدِ، صدقتُ ما لم يعنّي به أحدٌ، صدّقتُ أنْ سيأتي الوقتُ وأجيء معه، ويصحّ لي حينَها أن أقولَ أنـــا، دون أن يهجرني حاضرٌ أو يمكرَ بي أوانٌ...

لكنّي ممكورٌ بي.

أليس ممكوراً به من يتداولُه طائرا تَلَفٍ وكلٌّ يدّعي أنه الوقتُ، وكلٌّ يخبطُ بأجنحته في ساعتي، ساعةَ المغيبِ، ساعةَ مللتُ من اللعبِ وأردتُ العودةَ إلى بيت أمّي، أرقّقُ رعبَ قلبـــي بمائهـــا المهيمنِ، بالينبوعِ الفراتِ الذي ولدتُ أنا وإياه في رَحِمٍ واحدٍ.

لكنّي مكذوبٌ عليَّ

أليس مكذوباً عليه من يصمتُ بين يديْ صديق يحدّثـــه عـــن القرآن، ثمّ يلتفتُ فإذا الكلامُ قديمٌ والصديقُ انتهبتْـــه ســـيوفُ

مكتبة الفكر الجديد

هواءٍ بعيدٍ، وقرآنُه مفتوحٌ من الامسِ على سورةٍ محرّفةٍ أولُها الآنَ وآخرُها فلتَ الأوانُ.

مهجورُ الحاضرِ أنا

أرملُ اللحظةِ

يتيمُ الأزمنةِ كلِّها

لي كربلاء، وكربلائي لا تنقضي بسهمٍ مثلّثٍ ونارٍ تأكلُ الخيامَ

كربلائي ــ الوقتُ، ماضيةٌ في حضورها وتتشبّه بالمستحيلِ

إنها كمثلِ يلقوتةِ اليأسِ تجدّد نفسها في كل آن.

في كلِّ آنٍ فواتُ أوان.

٢٠٠٣

مكتبة الفكر الجديد

الفهرست

ارباب جمشيد..... ٥

استدل على الزائل..... ١٩

قل له..... ٢١

اما المراة..... ٢٣

الاب يتكلم..... ٢٥

شخص المناخ..... ٣٣

غيومنا العميقة..... ٣٥

لوكيميا..... ٣٧

عنقاء المغرب..... ٣٩

الاب يتكلم ثانية..... ٤٧

هيوا..... ٥٣

الصليب..... ٥٥

الثانية بعد الظهر وأنا سعيد بهذا كله..... ٥٧

اكاديمية الفنون الجميلة..... ٦٥

سرجنار.. يأسها وشمعدانها..... ٦٩

قلعة اربيل..... ٧٧

ميزوبوتاميا..... ٨١

توأم..... ٨٥

بسم الله..... ٨٧

مكتبة الفكر الجديد

الهواء الاخير..... ٩١
محمد صلاح..... ١٠١
نادرا ما يحدث هذا..... ١٠٣
اقوال..... ١٠٥
هاملت..... ١١١
وجع اضراس..... ١١٣
تأريخ اعمى..... ١١٧
رسالة في ان الوجود خير محض على كل حال..... ١٢٩
محي الدين بن عربي..... ١٣٥
الاسم..... ١٤١
زهرة سوداء..... ١٤٧
زواج متأخر..... ١٥١
أرق..... ١٥٣
اوبر لوبير..... ١٥٥
مشافهة..... ١٦٩
جدل..... ١٧٥
فك المربوط..... ١٨٣
تيه..... ١٨٥
العتن بالعتن..... ١٩١
قارىء كف..... ١٩٢

مكتبة الفكر الجديد

جنة عدم..... ٢٠٣
ساحة الاندلس..... ٢٠٩
بابل مقلوبة..... ٢١٩
الكروبيون..... ٢٢٥
قتيلان يتحاوران..... ٢٣١
٨ شباط..... ٢٣٣
اخر العرب..... ٢٣٥
اسد بابل..... ٢٣٩
كربلاء الوقت..... ٢٤١

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥١٣) لسنة ٢٠٠٩

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

مكتبة الفكر الجديد

أحمد عبد الحسين

١٩٦٦ بكاؤه الأول في بغداد .
١٩٨٣ نشر نصه الأول في الطليعة الأدبية .
١٩٨٤ دخل أكاديمية الفنون الجميلة قسم الفنون التشكيلية .
١٩٨٨ دخل الحرب الأولى قبل نهايتها .
١٩٩٠ هرب من وطنه بقصائده قبل الحرب الثانية .
درس العلوم الإسلامية .
عمل محرراً ثقافياً في نداء الرافدين، سكرتير تحرير المؤتمر، نائب رئيس تحرير المواطن، عضو هيئة تحرير المنتدى الثقافي ، وعضو هيئة تحرير مجلة المسلة .
١٩٩٩ أصدر ديوانه الأول عن دار ألواح باسبانيا.
٢٠٠٠ أصدر بالاشتراك مع ناطق عزيز كتاب عمدني بنبيذ الأمواج عن اتحاد الكتاب بدمشق وهو ترجمة لشعر الإيرانية فروغ فرخ زاد .
٢٠٠٠ أقام في كندا .
أيلول ٢٠٠٥ . عاد إلى وطنه إلى الأبد .
عمل في جريدة الصباح محرراً لصفحة آراء، ثم محرراً للصفحة الثقافية، وهو الآن سكرتير التحرير ومدير القسم الثقافي في الصباح.
حصل على جائزة دبي للشعر في العام ٢٠٠٧ .
حصل على جائزة (شرق غرب) الألمانية للعام ٢٠٠٧ .
صدر ديوانه (جنة عدم) عن دار الساقي أواخر العام ٢٠٠٧ .

وزارة الثقافة
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

اللوحة : شاكر حسن آل سعيد
الغلاف : تنفيذ هادي أبو الماس

السعر : ٣٠٠٠ دينار

مكتبة الفكر الجديد